وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة – يحيى فارس – المدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الهوية والهجنة في رواية عائد إلى حيفا لغسان الكنفاني

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: – أدب حديث ومعاصر –

إعـــــداد الطالبتين:

- رميساء العمراني
- أسماء فضيل

إشـــــراف الأستـــــاذ:

فوزي لدزر

السنة الجامعية: 2021/2020م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر و تقـــديـــر

بعد فضل الله تعالى وكرمه الذي وفقنا لإتمام هذا العمل و الوصول إلى هذه اللحظة نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذنا الكريم " لدزر فوزي " الذي ساندنا ووقف معنا وصبر

علينا ولم يبخل بنصائحه وتوجيهاته التي أنارت لنا الكثير من مسالك هذا البحث لنخرج بهذا العمل المتواضع.

لك منا أسمـــى آيـــات الاحتـــرام والامتنـــان متمنين لـــك كل التوفـــيق فـــي تبلـــيغ رســـالـــة العـــلم والمـــعرفـــة .

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أغلى ما يفتح الإنسان عليه عينيه ، إلى مصدر الحنان والوفاء

إلى من أذاقتني طعم الحب والسهر على تحميلي لهذا العلم أمي الغالية .

الى من أثمن رضاه في الدنيا وكان نعم السند و أعز رجل أمدني يد العون عند حاجتي والدي العزيز ، إلى كل من كان معي في سبيل النجاح .

إلى إخوتي أعز ما لدي و خصوصا أخي الاصغر "قصي" وصديقاتي الأعزاء الذين كانوا مصدر تفاؤلي حين تضيق وتسد

كل الطرق في وجهي .

قبل أن أمضي أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة

في الحياة إلى الذين مهدوا لي طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتي الأفاضل منذ بداية مشواري الدراسي إلى اليوم .

كما أتوجه بالشكر إلى كل من علمني التفاؤل والمضي إلى الأمام إلى كل من وقف إلى جانبي

عندما ضللت الطريق .

أسماء

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على صاحب الشفاعة سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه الأجمعين ومن تبعهم الى يوم الدين وبعد.

أحمد الله مخرج النور بعد الظلام أحمد الله الذي رزقني حسن المسير.

كلمات شكر وامتنان لمن كانوا لنا مثل الشموع في الليالي المظلمات.

اهدي تخرجي الى النور الذي انار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره ابدا ، والذي بذل جهد السنين من اجل ان اعتلي سلالم النجاح، حصد الأشواك عن دربي، ليمهد طريق العلم لي" والدي" العزيز ألف شكر والى من اخص الله الجنه تحت قدميها وغمرتني بالحب والحنان واشعرتني بالسعادة والامان " والدتي" العزيزة ، حفظكم لي الله واطال في عمركم.

الى نور الآخوة عيوني وسندي وقوتي وضحكتي الجميلة التي أنارت دنيتي وحياتي ، علي و شعيب.

زهرة حياتي سري وبهجتي عمري وشمعة البيت أختي حبيبتي روحي الثاني بسمـــــــــــــــــلة.

الى رفاق دربي توائم روحي سندي بعد عائلتي الى من تحلو بهم الحياة نسيبة وهاجر.

الى زوجي شريـــــــــــــــــــيك حياتـــــــــــــــــــي قاسمي.

رميساء

مقدمـــــة

مقدمة :

أصبح البحث عن الذات ، و عن الهوية المفقودة شغل الأدباء الشاغل، فاتخذوا الأدب بكل أجناسه سواء الشعر أو المسرح أو الرواية أو القصة المتنفس الوحيد الذي يعكس نفسية الأدبي، والتعبير عن حالات الضياع والتشتت في شكل روائي جميل، وهذا ما نجده في الآداب الكولونيالية التي تنظر بصفة عامة إلى سكان المستعمرات التي مرت بالتجربة الاستعمارية نظرة دونية ، وهذا ما دفع الكتاب الشرقيين الى محاولة تصحيح تلك النظرة في شكل نصوص روائية وشعرية مضادة تبحث وتكشف عن روعة هوياتهم العرقية والثقافية والوطنية، وتكتشف صورة الشرقي الحقيقية لعيون الغرب.

.ولقد كان السبب في دراستنا لهذا الموضوع بالذات، أن الرواية تعكس لنا الواقع المعاش للشعب الفلسطيني الشقيق ، معبرا عن وحشية الاستعمار الغاشم، الذي طمس معالم هويته ، كما أن الرواية لم تدرس من قبل، لهذا تحمسنا لدراستها والغوص في تجربة جديدة، وهو ما نسعى إلى تحديده من خلال هذه الدراسة، للإجابة عن الإشكالية التي ستظهر مضمون الموضوع أكثر وهي كالآتي :

كيف يمكن للشعوب المستعمرة ان تحافظ على هويتها في ظل محاولات المستعمر طمس معالمها و تشويهها؟

كيف تتشظى الهوية و تنشطر؟ وعلى أي أساس تتولد الهجنة ؟

وهل يمكن أن تكون حلا لمشاكل الهوية ؟

وبغية الوصول إلى أجوبة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على خطة تتكون من مقدمة وفصلين، فصل نظري وفصل تطبيقي والخاتمة .

أما الفصل الأول جاء بعنوان إشكالية الوعي بقضية الهوية في النقد العربي، وقد تناولنا في المبحث الأول المعنون ب "إدوارد سعيد ودوره في انبثاق وبلورة مفهوم الهوية في الثقافة العربية"، يحتوي مطلبين : المطلب الأول" مفارقة الهوية عن إدوارد سعيد" ، والمطلب الثاني "ماهية الهوية وأنواعها" .

المبحث الثاني بعنوان "جدلية الهوية و الهجنة في الرواية العربية ما بعد الاستعمارية "، يتضمن مطلبين : المطلب الأول "بين الهوية والاغتراب "، و المطلب الثاني "الهجنة و مسألة العيش في الفضاء الثالث".

أما الفصل الثاني الذي جاء بعنوان الهوية والهجنة في الأدب العربي ، فقد ضم مبحثانيتمثل في" الهوية والهجنة في رواية عائد إلى حيفا"، والمطلبين اللذان يحتويهما، الأول يتمثل في "الاستعمار وأثره على الهوية العربية "، والثاني يتمثل في "أهم الروايات العربية ما بعد الكولونيالية"، أما بالنسبة للمبحث الثاني بعنوان" تجليات الهجنة في رواية عائد إلى حيفا"، والمطلب الأول فقد تناول "مظاهر الهجنة الثقافية في رواية عائد إلى

حيفا" ، والمطلب الثاني "انشطار الهوية في الرواية"، وأنهينا بحثنا بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على آليات النقد الثقافي خصوصا مع تعلق بعملية كشف الأنساق المضمرة في الخطاب الكولونيالي ، و الرد في الكتابة ، مع الاستعانة بآليات المنهج الوصفي التحليلي .

ولقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع التي سهلت علينا أعباء هذا البحث في رواية " عائد إلى حيفا" ، وأهمها : " أدب ما بعد الاستعمار ونظريته النقدية، طلعت عبد العزيز أبو العزم"، "مفارقة الهوية ،لإدوارد سعيد" ،"حسن حنفي حسنين، الهوية ".

ولا نزعم أن انجازنا لهذا البحث كان أمرا هينا ، فلقد واجهتنا عدة صعوبات من بينها قلة المصادر و المراجع خصوصا في مسألة الهجنة ،إلا أننا بفضل الله و عونه تجاوزنا هذه العراقيل، لنضع بين أيديكم هذا البحث المتواضع متمنين أن ينال إعجابكم.

مدخـــــل

مدخل: النظرية ما بعد الكولونيالية:

يشير مصطلح ما بعد الكولونيالية الى أدب الأمم التي لمرت بتجربة الاستعمار ،وتشكل وجودها السياسي بهذه التجربة، ونتج عنها أدب يتسم بخصائص معينة، وورد المعنى بهذا الشكل أي:"الآداب المختلفة لدول كثيرة متعددة: التي حدث أن تشكل وجودها السياسي بالتجربة الاستعمارية حيث يرى بعض النقاد أن هذه الآداب تتسم بخصائص معينة، فيما يتعلق بالقوة الاستعمارية، فإن أدب أمم nations ما بعد الاستعمار يتشكل بداية بتنمية أشكال مميزة للغة القوة الاستعمارية. ولقد جاء مصطلح ما بعد الاستعمار ليجمع آدابا كثيرة مكتوبة باللغة الإنجليزية من افريقياواستراليا وكندا والهند وسنغافورة".[1]

و هكذا نستنتج أن المصطلح يركز على الآداب المكتوبة باللغة الإنجليزية أي الآداب في الدول التي تشكل وجودها السياسي بالتجربة الاستعمارية الإنجليزية، متناسيا الآداب المكتوبة باللغة الفرنسية والتجربة الاستعمارية لها.

تعد دراسات ما بعد الاستعمار من أهم النظريات التي رافقت مرحلة ما بعد الحداثة لاسيما أن هذه النظرية ظهرت بعد سيطرة النبوية على الحقل الثقافي الغربي.

عند حديثنا عن دراسات ما بعد الاستعمار، يجب ان نسير الى مرحلة ما بعد الاستعمار أي مرحلة ما بعد الاستقلال وهذا المصطلح "يتضمن قطيعة تاريخية دالة على نهاية

[1] د.طلعت عبد العزيز، أدب ما بعد الاستعمار ونظريته النقدية، كلية الآداب جامعة سوهاج،ط1، ص 11.

الفصل الاستعماري فإنه يعني أبعد من ذلك بكثير. فهو يغطي الكتابات المتعلقة بالتجربة الاستعمارية التي تستثني ذكر القوى المستعمرة نفسها".[1]

وانطلاقا من هذا يمكننا القول إنفترة ما بعد الاستعمارهي الفترة التي تلت الاستقلال السياسي الذي حصلت عليه الدول التي كان الاستعمار على رأسها، لكن ليس هذا فقط، وإنما ما تضمنته تلك المرحلة "فترة الاستعمار" من كتابات حول الفترة الاستعمارية.

وبهذا يمكننا إن الأدب في مرحلة الاستعمار (Colonialism)هو أدب في خدمة الاستعمار فكان الأديب الغربي بتشكل وعيه ثقافيا –سواء أدرك هذا أم لم يدركه– بحيث يشجع في أدبه على التوسع الاستعماري.[2]

كما حدد "**أي لوسون**" مصطلح ما بعد الكولونيالية "بأنها حركة تاريخية وتحليلية، ذات باعث سياسي يتصارع مع الكولونيالية ويقاومها بهدف إبطالها على المستوى المادي التاريخيو الفكري و الثقافي و السياسي".[3]

وهذا يعني أنها حركة سياسية تهدف إلى التمسك بالرابط الوطني والهوية الوطنية من خلال محاربة ومقاومة السياسات الاستعمارية.

---

[1]شيلي واليا –إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، ترجمة "أحمد خريس وناصر أبو الهيجاء، أزمنة، الأردن، عمان، ط1، 2007، ص 16.

[2]طلعت عبد العزيز أبو العزم، أدب ما بعد الاستعمار ونظريته النقدية ص 12.

[3]د. نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، شركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، 2003، ص 549.

واجهت النظرية "ما بعد الكولونيالية" عددا من المشاكل والصعوبات بشأن تقديم تعريف دقيق لها ومدى فائدتها في فهم الحركات النضالية ورغم غموض المصطلح إلى أننا حاولنا تقديم تعريف نظري شامل.

ولعل ما حدده "**دوغلاس روبنسون**" يقول "فهي حسب نظره دراسة تشمل مستعمرات أوروبا السابقة منذ استقلالها أي كيف استجابت لإرث الكولونيالية منذ بداية الكولونيالية إلى نهايتها أو يعني بها دراسة جميع ثقافات المجتمعات أو الأمم من حيث علاقات القوة التي تربطها بسواها من ثقافات المجتمعات أو الأمم الأخرى.[1]

نلاحظ في تعريف "دوغلاس روبنسون" أنه لمح إلى فترة ما بعد الكولونيالية إلى فترة نهايتها، كما لمح إلى فترة الكولونيالية (الاستعمارية) أي فترة الاستعمار إلى نهاية الاستعمار.

[1] مديحة عتيق، ما بعد الكولونيالية، مفهومها، أعلامها، أطروحاتها، دراسات وأبحاث المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجلفة، العدد 20.

الفصل الأول: إشكالية الوعي بقضية الهوية في النقد العربي

المبحث الأول: ادوارد سعيد ودوره في انبثاق وبلورة مفهوم الهوية في الثقافة العربية

المطب 01: "مفارقة الهوية عند ادوارد سعيد"

المطلب 02: ماهية الهوية وأنواعها

المبحث الثاني: جدلية الهوية والهجنة في الرواية العربية ما بعد الاستعمارية.

المطلب 01: بين الهوية والاغتراب

المطلب 02: الهجنة ومسألة العيش في الفضاء الثالث.

المبحث الأول: ادوارد سعيد ودوره في انبثاق وبلورة مفهوم الهوية في الثقافة العربية

"ادوارد سعيد" هذا الاسم بحد ذاته يعتبر درسا في مفهوم "الهوية" فهو اسم يجمع بين عالمين، بين ثقافتين ولغتين، فإن مثل هذا التناقض هو مفتاح القوة عند "ادوارد سعيد".

المطب الأول: "مفارقة الهوية عند ادوارد سعيد"

سواء كان ادوارد سعيد ناقدا أو محللا سياسيا أو منظرا أدبيا وثقافيا أو موطنا نيويوركيا فإنه يمثل طبيعة الهوية القائمة على المفارقة، في الأغلب في دنيا متعولمة مهاجرة، نجد فيهه شخصا وضع في تشابك تناقضات نظرية وثقافية: تناقضات بين شخصيته المتغربنة وعلاقته السياسية بوطنه الفلسطيني، تناقضات بين صوته السياسي والموقع المهني، تناقضات نظرية وثقافية بين الطرق المختلفة التي قرئ فيها: تناقضات في الطريقة التي وضع فيها في الأكاديمية. لقد كان الترابط الحميم بين هوية سعيد ونظريته الثقافية، وكذلك المفارقات التي يكشفها، يبين لنا شيئا عن تركيبة وتعقد الهوية الثقافية نفسها.[1]

في ظل هذه التراكمات ندرك أشد الإدراك معاناة سعيد من مشكلة التداخل والتزاحم والتقاطع بين الهويات.

[1] إدوارد سعيد، مفارقة الهوية، ترجمة سهيل نجم، مراجعة دجيدر سعيد، دار الكتاب العربي، دمشق، "نبيل أسكزوفت" "بال أهولواليا" ط1، 2002، ص 14.

لهذا كان يتمنى كما يقول: "لو كنا جميعا عربا كاملين، أو كنا أوروبيين كاملين أو أمريكيين كاملين أو مصريين كاملين[1]. يعكس هذا القول مدى تأثر ادوارد سعيد و التزامه والتداخل الذي يعيشه، لدرجة تمنيه توحد شعوب للهروب من الحالة التي يعيشه،.إن مفارقة هوية إدوارد سعيد هي الميزة الاستراتيجية لـ"دنيويته" الميزة التي تقدم مفتاحا لاهتمامات وقناعات نظريته الثقافية.

هذه الهوية هي في حد ذاتها نص يدرس وتعاد كتابته باستمرار من قبل سعيد متقاطعا ومترابطا مع كل النصوص الأخرى التي يكتبها.[2]

"كان العالم العربي الجديد عالما سياسيا وثقافيا –على الصعيدين الشخصي والعام– يتكون من عناصر عديدة ولكن علامته الفارقة عند ادوارد سعيد كانت الهزيمة العربية وانبثاق الحركة الفلسطينية والدروس الخصوصية في اللغة والأدب العربيين التي كان يتلقاها يوميا خلال عام بأكمله على يد الأستاذ فريحة وهو معلم رائع، ومعين لا ينضب من الحكمة اللغوية في اللغات السامية كلها إلى ذلك بما لديهمن شعور متزايد بأنه يشعر بوجود هوة من سوء التفاهم تفصل بين عالميه الاثنين عالم بيئته الأصلية وعالم تربيه، فإن مهمة

[1] ماجدة الجندي، من عمق القلب وخارج المكان، إدوارد سعيد عربي بالاختيار، الأهرام 2000، ص 30.

[2] إدوارد سعيد، مفارقة الهوية، ص 15.

تجسيد تلك الهوة إنما تقع عليه وحده دون سواه ، فلم يكن له من خيار غير السعي إلى هويته العربية".[1]

من هنا نرى سعي إدوارد سعيد وراء محاولة التوفيق بين عالمين و هويتين متناقضتين و هذا هو المعنى الحقيقي للهجنة .

يضع سعيد نفسه بإصرار بأنه "الشخص المنتزع" المنفي من بلاده، لكنه بدلا من واقع ثقافة فلسطينية أساسية، يصر على أن كل الثقافات تتغير على الدوام، وأن كلا من الثقافة والهوية هي في نفسها سيرورة، لقد عززت هويته الثقافية بالتأكيد أكثر مما أضعفت اختياره ليموضع نفسه في نيويورك، فهو يقر بوصفه فلسطيني أولا وأمريكي ثانيا بأنه لا يستطيع العيش في أي مكان آخر غير نيويورك، وهنا ثمة ما يشير إلى الشخصية العالمية لنيويورك، ولكنه يشير أيضا إلى طبيعة إدوارد سعيد إلى هاجسه بالتوطن، وافتتانه بالتنوع الثقافي وتغاير الأصول ودفاعه عن استقلال المثقفين عن البنى السياسية.[2]

وعلى رغم من مفارقة الهوية لدى إدوارد سعيد وجد نفسه مجبرا على الجمع بين هويتين متناقضتين و هنا تجدر الإشارة إلى الفضاء الثالث أو الفضاء البيني الهجين عند "هومي بابا". او ما يسميه فضاء بين فرجتين: فضاء بين ماض فلسطيني مستعمر وحاضر

[1] ينظر إدوارد سعيد، خارج المكان، ترجمة فواز طرابلسي، دار الآداب، بيروت ، ط1، عام 2000، ص 9.

[2] إدوارد سعيد، مفارقة الهوية ص 15.

أمريكي إمبريالي، فقد وجد نفسه متمكنا ومجبرا في الوقت نفسه، على أن يتكلم من أجل فلسطين، على أن يكون صوت المهمشين والمطرودين وبالنتيجة ليقدم القضية الفلسطينية للشعب الأمريكي..."،[1] وبهذا تكون نظرية سعيد في المقاومة الثقافية، قد وضعت للإطاحة بالافتراضات المتعلقة بدور المثقف في الحياة العامة، لأن اهتمام سعيد كان موجها إلى الظروف المادية المحيطة بالتفكير السياسي والثقافي، مع تركيزه على السلطة الاستعمارية وخطابها، لأن المثقف يجب أن يميل إلىالتحرر والتنوير وخبرات الفقراء، والمحرومين من التمثيل... وما دفع سعيد لوضع الخطاب الاستعماري موضع المساءلة وما دفعه إلى ضم نظريته في المقاومة الثقافية إلى نص هويته في نسيج واحد، هو الاحتلال الاستعماري، لاسيما بعد حرب الأيام الستة في السنة 1967 وما هويته إلا نص من نصوص مرتبط بالنصوص التي كتبها، والتي كانت صوتا فصيحا عن هذه الهوية المركبة حقا، حيث نجده يقول: "الحياة المنفى هي عقل شتاء، فيه تدنو شفقة الصيف والخريف، وكذلك الطاقة الكامنة في الربيع، ولكنهما لا يدنوان بما يكفي لأن يكون في متناول اليد".[2]

ولكن من ناحية أخرى، فإن الانتماءات لا تتكافأ من حيث الاختيار والاضطرار فبعض الانتماءات تولد مع الإنسان ولا خيار له في استمرارها كالانتماء العائلي والوطني واللغوي والعرقي والإقليمي، وبعضها يكون للمرء خيار في استمراره أو عدمه كالدين أو المذهب،

[1] المرجع السابق ص 15.

[2] د.حسينحيمر، الهوية والمقاومة عند إدوارد سعيد، مجلة مداد الآداب، أبو بكر بلقايد، تلمسان/الجزائر، العدد 1099

وبعضها يتخيره الإنسان بعد تمييزه واكتمال وعيه كالتوجه السياسي والأيديولوجي وما إليه، ومن ثم لا يصح ضرب ضروري في اختياري، وإنما الاختيار يكون في مقام إتاحة الاختيار. فمن اختار البقاء على الدين أو المذهب، فقد فضل الانتماء لغيره، (من ثم لا يصبح ضرب) ومن اقتنع باتجاه فكري أو سياسي أو مذهبي معين فقد يعني ذلك عدم رغبته في الانتماء لما لا يجتمع معه من اتجاهات أو مذاهب، وإنما يقع التعارض بين هذه الانتماءات عندما تتعارض منطلقاتها أو غاياتها أو مساراتها، ولكن لا يلزم من هذا أن يندلع بينهما الصراع. وإنما يكون الصراع أو التدافع أو التعارف أساسا للعلاقات بين الانتماءات المختلفة على أساس من رؤية العالم والنموذج المعرفي الذي ينطلق منه أرباب دائرة انتهائية.[1]

ومن هنا نستنتج أن إدوارد سعيد يمثل المثال الأكبر في مفارقة الهوية ،بحيث تمثل مرجعية مسارية في حياة سعيد.

[1] أ.د.نادية مصطفى أسامة مجاهد، ماجدة إبراهيم، دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، دار البشير للثقافة والعلوم القاهرة، مصر، ط1، 1434هـ-2013م، ص 9.

المطلب الثاني: ماهية الهوية وأنواعها

1/ الهوية لغة:

ورد لفظ الهوية في لسان العرب "لابن منظور" من الفعل هوى، "وهوى بالفتح: يهوي هويا وهويانا وانهوى: سقط من فوق إلى أسفل، وأهواه هو، يقال أهويته إذا ألقيته من فوق"[1] وقوله عز وجل **(وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى)** النجم[2]52 والمقصود بها قوم لوط **(قرية)** حين أهوى الله بها.

"أسقطها فهوت أي سقطت، وهوى السهم هويا: سقط من علو إلى سفل".[3]

وجاءت لفظة الهوية كما قيل من "هوية تصغير هوة، وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة".[4]

ويقصد بالهوية هنا بئر بعيدة أي عميقة، ووردت لفظة الهوية في القاموس المحيط للفيروز أبادي من "الهوة كقوة ما انهبط من الأرض: أو الوهدة الغامضة منها كالهوادة، كرمانة والهو بالفتح: الجانب والكوة".[5]

ومصطلح "الهوية" لفظ تراثي قديم، موجود في كتب المصطلحاتمثل "التعريفات" للجرجاني. ومعناه أن يكون الشيء هوهو، وليس له مقابل مما يدل على ثبات الهوية،

---

[1]ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت. لبنان. دط. 1863. مادة (هـ.و.ى) ص 115.

[2]سورة النجم الآية 52.

[3]ابن منظور لسان العرب مادة هـ.و.ى ص 115.

[4]المصدرنفسه ص 116.

[5]مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ترجمة محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ط8، 2005، ص 1347.

وهو موجود أيضا في المعاجم والقواميس مما يدل على ثبات الهوية، وهو موجود أيضا في المعاجم والقواميس الفرنسية في مصطلح Identité، و Identity، وأحيانا في مصطلح "الإنية" المشتقة من "أنا" Ipseité و Ipseity بنفس المعنى. ويستعمله الغرابيفي كتابه "حروف".[1]

وبهذا نرى أن الهوية كانت محل اهتمام العديد من الباحثين .

2/ الهوية اصطلاحا:

ان مصطلح الهوية من أكثر المصطلحات والمفاهيم استعمالا وتداولا بحيث كان محل اهتمام الكثير من الدارسين والباحثين، بغية دراسته بشكل علمي وصحيح ودقيق بغرض التوصل إلى أصح وأدق النتائج.

ان للهوية تعريفات متعددة ومتنوعة ومختلفة باختلاف المجالات المعرفية والاجتماعية، معناها يتغير من مجال معرفي إلى مجال معرفي آخر، من علم النفس إلى المنطق إلى علم الاجتماع إلى علم السياسة إلى غير ذلك.

يعتبر بعض الوجوديين أن الهوية هي البدن لرفضهم ثنائية النفس والبدن "أنا جسمي" كما يقول "جابريل مارسل".[2]

[1] حسن حنفي، الهوية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ط1، 2012، ص 17.

[2] حسن حنفي، الهوية، ص 12.

ويرفض سارتر مقولة ديكارت "أنا أفكر" Cogitoوبفضل "أنا موجود" Ego.[1]

من خلال ما سبق نستنتج أن الهوية قضية فلسفية "فلسفة الهوية" بحيث هناك من يربط الهوية بالبدن وهناك من يربط كذلك الهوية والوجود بالفكر.لقد عرفها المفكر الفرنسي "اليكس ميكشيللي": بأنها عبارة عن "منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحداتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الاحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد المركزي"...[2]

من خلال القول نلاحظ أن المفكر الفرنسي " اليكس ميكشيللي" في تعريفه للهوية أنه ربط الهوية بالذات أي المشاعر الداخلية وروح الداخلية حيث يفهم من هذا التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع في تشكيل هوية الفرد والمجتمع.

ويعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة ولاسيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي ويعد بالتالي من أكثر المفاهيم تغلغلا في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية اليومية، ومن أكثرها شيوعا واستخداما.[3]

---

[1] المرجع نفسه ، ص 13.

[2] اليكس ميكشيللي: الهوية، ترجمة علي وطغة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، 1993، ص 129.

[3] المرجع نفسه ، ص 7.

أما الهوية –في عرف حضارتنا العربية الإسلامية–: فإنها مأخوذة من (هو..هو) ..يعني أنها جوهر الشيء..وحقيقته المشتملة عليه اشتمال النواة على الشجرة وثمارها.. فهوية الانسان..أو الثقافة..أو حضارة، هي جوهرها وحقيقتها..ولما كان في كل شيء من الأشياء –إنسانا أو ثقافة أو حضارة– "الثوابت" و"المتغيرات"..فإن الهوية هي "ثوابته" التي "تتجدد" ولا "تتغير"...[1]

الهوية في مفهوم الحضارة العربية ثابتة لا يطرأ عليها التغيير بل يطرأ عليها تجديد في المقابل تبقى ثابتة الأصل.

نجد "الفارابي" في تعريف منطقي على أنها "من الموجودات وليست من جملة المقولات، فهي من العوارض اللازمة، وليس من اللواحق التي تكون بعد الماهية"، كما حدد هوية الشيء بأنها "عينية ووحدته وشخصيته وخصوصيته ووجوده المنفرد له كل واحد وقولنا إنه "هو" إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"[2] كما أن ابن رشد قد عرف أيضا الهوية في هذا الإطار المنطقي والذي على ما يبدو نقل عن اليونانية بكونها "تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود وهي مشتقة

[1] د.محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر وتوزيع ط1، فبراير 1999 ص7.

[2] مجموعة باحثين، العولمة والهوية والثقافية، اشراف: جابر عصفور، سلسلة أبحاث المؤتمرات (7)المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر ص 401.

من "الهو" كما تشتق الإنسانية من الإنسان وإنما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنها أقل تغليظا من اسم الوجود إذا كان شكله اسم مشتق".[1]

ويعرف السياسي البريطاني "ادموند بورك" الهوية بقوله: "الهوية ما تمثل في درجة الترابط الوثيق بين مجموعة الأفراد الذين يحملون نفس الخصائص كجزء من النظام الطبيعي من جهة وترابطهم من جهة أخرى، مع من يختلفون عنهم اكتمالا لحياة المرء".[2]

وفيإطار الحديث عن تشكيل وبناء الهوية وتعريفها، نذهب إلى أنواع الهوية، ومن بين هذه الأنواع نجد الهوية الثقافية، الاجتماعية، الوطنية...

الهوية الثقافية:

قال تعالى: **(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا)**[3] وهذا الاختلاف الذي تشير اليه الآية هو الذي يسند إليه الباحث كمدخل لدراسة الثقافة كونها تمثل إجمالا حصيلة ما تعلمه الفرد حسب بيئته ومجتمعه.[4]

فمن خلال التنوع البيئي الذي نتج عنه ثقافات متباينة تم اكتسابها وفق تجارب مختلفة من الحياة و"إذا قلنا إن الثقافة هي مجموعة المعلومات التي يقوم عليها نظام الحياة أي شعب

---

[1] نفس المرجع ص 401.

[2] ستيفن ديول، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع الدولي، ترجمة وهيبة ربيع، القاهرة: دار الإسكندرية، 2000، ص 349.

[3] سورة الإسراء، الآية (84).

[4] عزيزة الطائي، ثقافة الطفل بين الهوية والعولمة، مؤسسة الدوسري، البحرين، 2011م، ص 18.

من الشعوب، فهي على هذا أسلوب حياته ومحيطه الفكري ونظرته إلى الحياة، ولابد أن تكون خاصة به، نابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية وتطور بلاده التاريخي الحضاري".[1]

نفهم من خلال هذا أن الثقافة هي طريقة الفرد ونظرته إلى الحياة نابعة من المحيط الذي يعيش فيه وتأثره بما يدور حوله.

ومثل ما يقال عن لهجة الكلام المحلية، فإن الشعوب العربية تتكلم لهجات من العربية، ومن هذه اللهجات تكون على طول أحقاب تاريخية من طريقة الناس بالنطق بالألفاظ، فهناك في بلاد العروبة شعوب كانت تنبر المقطع الأول في لغاتها قبل الفتح العربي، ومنها ما ينبر المقطع قبل الأخير، ومنها من لا ينبر أي مقطع فكان نطقه العربية على هذا الأساس، وفي كل بلد دخلت العربية الجارية على الألسن عبارات محلية قديمة، وأخرى حديثة.[2]

نفهم من هذا الحديث أن لهجات الكلام تكون على طول أحقاب تاريخية بمقارنة طريقة نطق بها، وهذا راجع إلى دخول العربية الجارية على الألسن عبارات محلية قديمة وأخرى حديثة، "ولهذه الأسباب تنشأ اللهجات من نفس اللغة، وتتسع الهوة بينهما عبر الزمن،

[1] د.حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 322.

[2] د.حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ص 323.

وكل لهجة صورة من طبيعة أهلها وأثر من بيئتهم وصورة تفكيرهم والمعاني الت تدور في أذهانهم، فهي على هذا مظهر ثقافتهم أي أسلوبهم في الحياة. فثقافة الأمة هي علمها غير الواعي الذي تتوارثه أجيالها وتسير به في شؤون حياتها، أي هي طريقتها في الحياة".[1]

ومنه تفهم الثقافة الخاصة بأمة ما على أنها علمها الذي تتوارثه بشتى الطرق لتمارس به شؤون حياتها.

يقول الدكتور "**عبد الكريم عثمان**": الثقافة في اللغة العربية تعني الحذق والفهم، والتثقيف بمعنى التشذيب والتهذيب والتقويم والفطانة".[2]

أما "مال بن نبي" يعرف الثقافة في كتابه **(مشكلة الثقافة)**فيقول إنها: "مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه".[3]

نفهممن قول مالك بن نبي أن الطفل منذ ولادته يتأثر من المحيط الذي يتعايش معه وبالتالي كل الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تلقاها تصبح صورة عاكسة لأفعاله وأسلوبه.

---

[1] المرجع نفسه ص 323.

[2] أرشيف الصحافة والإعلام.25-04-2021.

[3] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1984، ص 74.

إن الحديث عن مفهوم الثقافة بهذا الشكل الذي يلامس فيه جملة من العناصر كالمعتقدات، الأخلاق، العادات، طريقة الكلام وغيرها التي ترتبط أساسا بمفهوم الهوية يجعلنا نقول أن الثقافة قد تكون بمثابة الوجه الآخر لمفهوم الهوية والذي يذهب فيه إلى أن الثقافة هي: "كل مركب على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الامكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع".[1]

من خلال هذا التعريف نستنتج أن المعايير التي يتم من خلالها تحديد هوية معينة ،يكون إنطلاقا من المقومات وسمات التي تميز الأنا عن الآخر.

الهوية الوطنية:

تعددت وجهات نظر العلماء والباحثين في مجالات علم النفس والاجتماع والإرشاد النفسي وخاصة أصحاب الاتجاه المعرفي الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية ، والتفاعل الاجتماعي، ومدى تأثيرها على شعور الفرد ، في معرفة مفهوم الهوية الذاتية والوطنية وسوف يعرض الباحثون وجهات نظر مختلفة أشارت إلى موضوع الهوية بشكل منفرد أو مفهوم الهوية الوطنية بشكل مباشر إذا ترى هورني **(Horne)** أن العوامل الثقافية تؤثر على السلوك الإنساني وأن أي خلل في العلاقات الاجتماعية لابد وأن يولد خللا في السلوك وتعتقد أن هناك صلة بين الخبرات الماضية وما فيها من صراعات تؤثر على

[1] فاطمة الزهراء سالم ، نحو هوية ثقافية عربية اسلامية، دار العالم العربي القاهرة، 2008، ص 30.

البنيان الخلقي للفرد وما يعانيه من مشكلات في المستقبل ، وأن الفرد لا يمكن أن يعيش حياته في أمن واستقرار بعيدا عن إطار المجتمع فضلا عن التفاعل الاجتماعي مع الآخرين يكسب الإنسان الإحساس بهويته وقيمته وقدرته على مواجهة ضغوط الحياة، وأما (روجرز) فيؤكد في نظريته حول الذات أن إدراك الفرد الإيجابي دون تشويه في الترميز للمثيرات البيئية تجعله يعيش حياة آمنة ومستقرة له ولمجتمعه بشكل إيجابي ويتكيف تبعا لمجاله الظاهري.[1]

الهوية الوطنية أداة طيعة تخضع لتأويلات مختلفة ونادرا ما تتحرر من النزاع، فضلا عن أن فهمها يبقى ضبابيا وغير دقيق،تحتاج دائما إلى التعريف والمراجعة بصفة دورية، فبحسب تعريف إبراهيم ديب: هي "الوعاء الكبير الذي يعترف ويوثق ويستوعب كل طوائف ومكونات المجتمع، وأنها كائن يتجسد في نفوس أبناء الوطن الواحد كجزء من تكوينهم الوجداني والذهني والنفسي".[2]

و الهوية الوطنية بحسب تعريف "ابراهيم ديب" أن الهوية الوطنية هوية جامعة لكل الطوائف ومكونات المجتمع وباعتبارها جزءالا يتجزأ من تكوينهم الوجداني والذهني والنفسي.

[1] مجلة التراث ، جامعة الجلفة، العدد10، شهر ديسمبر، 2013.

[2] محمد شمدين، الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية، تأليف عبد الحكيم أحمين، دار الأمان، الرباط/المغرب، 2017، ص 14.

للهوية وجه خفي، إذ تظل مصدرا للنزاع والتقسيم، وأنها لا تبنى بمنطق القوة والسيطرة، كما حدث في العراق وسورية ولبنان وجنوبا سودان حيث مشكلات هذه الدول تعود إلى وقت التأسيس، ويجد أن المشكل الحقيقي أمام الدول العربية هو قدرتها على إيجاد بيئة أو نظم أو قوانين تدير عمليات الاختلاف، فأهمية الوطنية تتمثل في قدرتها على تحويل التعدد والتنوع الطبيعي للمجتمع إلى ثروة وطنية.[1]

[1] المرجع نفسه ص 14-15.

المبحث الثاني: جدلية الهوية والهجنة في الرواية العربية ما بعد الاستعمارية.

المطلب 01: بين الهوية والاغتراب

المطلب 02: الهجنة ومسألة العيش في الفضاء الثالث.

المبحث الثاني: جدلية الهوية والهجنة في الأدب ما بعد الاستعماري:

لا يمكن بحال من الأحوال الحديث عن نظرية ما بعد الاستعمار دون التوقف أمام المبشر الأول لهذه النظرية (فرانز فانون) وأعماله التي عززها ادوارد سعيد في كتابه المعروف بالاستشراق وهي الأعمال التي استخدم فيها نظرية التحليل النفسي مطورا إياها لإبراز عواقب الاستعمار السيكولوجية والاجتماعية وذلك بتركيزه على خطورة خاصية السواد، باعتبارها عرقية،وأهميتهابالنسبة للمشروع الاستعماري القائم على القمع والتشويه، كذلك قابلية المستعمر الأسود للاقتناع بارتداء قناع أبيض مصنوع من الثقافة والمكانة فالاستعمار حين يعلي من شأن الجنس الأبيض على الشعوب غير البيضاء يخلق إحساسا بالاغتراب في هوية هذه الشعوب، ضمن ظروف يتم فيها اعتبار تاريخ المستعمر الأبيض وثقافته ولغته وتقاليده ومعتقداته كونية متفوقة بالنسبة لثقافة المستعمر، بما يخلق إحساسا قويا بالدونية داخل ذات هذا المستعمر ويقوده إلى تبني لغة المستعمر وثقافته وتقاليده في محاولة لمواجهة هذا الشعور بالدونية."[1]

[1] رزان محمود إبراهيم، المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية قسم اللغة وآدابها جامعة البترا الخاصة، ص 10.

المطلب الأول : بين الهوية والاغتراب.

الهوية ليست حقيقة محضة بل هي متغيرة تتفاعل مع الحرية ومع العوامل المحيطة بها سواء الدينية أو الثقافية والاجتماعية.

"الهوية ليست موضوعا ثابتا أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية فالهوية قائمة على الحرية لأنها إحساس بالذات والذات الحرة والحرية قائمة على الهوية لأنها تعبير عنها.[1]فهنا الهوية شيء مكتسب وليس فطري لأنها تتأثر بالعوامل الخارجية.

"الهوية اذن ليست شيئا معطى بل هي شيء يخلق لا يشعر بها كل إنسان كوعي مباشر، فالإنسان اليومي يوجد أولا يعيش أولا ثم يعيي ذاته ثانيا يأتي الوعي الذاتي بعد الوجود البدني ثم يأتي الوعي بالعالم المحيط".[2] فالهوية هي التي تمنح الإنسان القدرة على التواصل والقيام بعلاقات مختلفة مع أفراد المجتمع.

"ويمكن أن يقدم الشعور بالهوية مساهمة مهمة لجعل العلاقة مع الآخرين قوية ودافئة مثل الجيران أو أعضاء الجماعة أو المواطنين أنفسهم من البناء للوطن أو التابعين للديانة نفسها، ويمكن أن يثري تركيزنا على هويات معينة روابطنا ويجعلنا نفعل أشياء كثيرة بعضنا لبعض ويمكن أن يساعدنا في تجاوز حياتنا المتمركزة حول الذات".[3] الهوية لها

[1]حسن حنفي حسنين "الهوية" القاهرة المجلس الأعلى لثقافة ط1 2012 ص 23.

[2]المرجع نفسه ص 18.

[3]امارتيا صن ترجمة سحر توفيق "الهوية والعنف" (وهم المصير الحتمي).

تأثير كبير على كيفية معاملة الفرد لأبناء مجتمعه فهي الدافع الذي يجعله يتواصل مع الآخرين ويقوي علاقته بهم ويجعله يمد يد العون لهم.

فالهوية تقوي العلاقة وتجعلها حميمية خصوصا بين أبناء الوطن الواحد أو الذين تجمعهم ديانة أو ثقافة واحدة فمثلا: الانسان حين يسافر إلى بلد غير بلده فيلتقي صدفة بشخص من نفس البلديحمل نفس ديانته وتربى على نفس ثقافته فهذا وحده كاف ليشعره بسعادة عارمة وفرح شديد ويبعث في نفسه الراحة والطمأنينة تجاه الآخر فهنا لم تجمعهم صلة القرابة بل جمعتهم نفس الهوية في مجتمع يحمل هوية غير هويتهم، وهنا تلعب الهوية دورا فعالا في كيفية تعامل الفرد مع الآخرين وتبعث فيه الأمان الذي يخرجه من عالمه المغلق إلى العالم الخارجي.

فروبرت بوتنامRobart Putnam وآخرون ساهموا بقوة في استكشاف الأدبيات التي "كشفت بوضوح كاف كيف أن الهوية المشتركة مع الآخرين في الجماعة الاجتماعية نفسها يمكن أن تجعل حياة الجميع تسير بشكل أفضل كثيرا في هذه الجماعة ولهذا ينظر إلى الشعور بالانتماء إلى جماعة انسانية ما أحد مصادر الثروة".[1]ومع هذا كله لا يمكن أن ننكر أن الإحساس والشعور بالهوية يرحب ترحيبا حارا بالناس إلا أنه يمكن أن يستبعد كثيرا من الآخرين ، فنفس الجماعة التي تظهر لنا الحب والمودة وتقدم أشياء رائعة

[1]امارتيا صن ترجمة سحر توفيق، الهوية والعنف (وهم المصير الحتمي)، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب الكويت، اصدرت السلسلة في يناير 1978، بإشراف أحمد مشاري المدواني 1923-1940 ص 19.

لبعضها البعض هي نفسها التي تقذف بالحجارة نوافذ المهاجرين الذين ينتقلون للمنطقة من خارجها وتعاملهم بطريقة سيئة وعنيفة فتكون بذلك عدوانية وقاسية معهم فحينها نستطيع القول أنه لمن الممكن "لمحنة الاستبعاد والإقصاء أن تسير جنبا إلى جنب مع هبة التضمين والاحتواء".[1]

فهذا قد يكون من الأسباب الرئيسية التي تولد شعورا بالاغتراب فتتحول الهوية إلى اغتراب متأثرة بالعوامل الخارجية التي تصيب الإنسان بالإحباط.

1/الاغتراب:

هو كلمة مألوفة لا تبدو صعبة فأول ما يتبادر للأذهان عند سماعها البعد عن الوطن.

فلقد تعددت مفاهيمه واختلفت من مجال إلى آخر فكان محل اهتمام الكثير من الباحثين في عدة علوم مختلفة:

– ففي علم النفس: "الاغتراب يعبر عما يعانيه الفرد من انفصال عن ذاته حيث ينفصل الفرد عن مشاعره الخاصة ورغباته ومعتقداته وهو فقدان الإحساس بالوجود الفعال"[2] وهذا الذي أوضحه الباحث هورني Horny.

[1] المرجع نفسه ص 20.

[2] أ.ناجم مولاي (أزمة الهوية في ظل تحدي الاغتراب–مأزق وعي ومحنة شخصية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية عدد خاص الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في مجتمع الجزائري ص 421.

فهو شعور الإنسان بالغربة وسط أهله وناسه وهذا راجع لعوامل نفسية يشعر بها تتولد لديه نتيجة انعكاسات لما في المجتمع ولما يحمله من النواحي البيولوجية والفكرية المعقدة.

أما في علم الاجتماع فقد كان محور اهتمام العديد من الباحثين منهم ابن خلدون الذي قام بدراسة الاغتراب على أنه ظاهرة اجتماعية أصبحت موجودة بقوة خلال فترة الاستعمار وما بعد الاستعمار، هذا الذي أوضحه الباحث منصور "نجد أن المجتمع يحدد الغريب بأنه من لم يكن من أبنائه وبالتالي فهو غير مرتبط بهم لقرابة أو أسرة فكرية ثقافية تشده إليهم".[1]

الإنسان في هذا العصر يعيش في غربة رغم أنه يعيش في وطنه ، بسبب التشيؤ وغيرها من المشاكل...

لا يبدو أن هذا المصطلح غريبا عن الحضارة العربية قديما إذ أن "تتبعنا مفهوم الاغتراب كفكرة أو كلمة نجدها وردت في قواميس ومعاجم وكلام العرب وعلم الفقه...، وهو ما يؤكد أن العرب قد تداولوا كلمة الاغتراب قبل اتصالهم بالحضارة الغربية".[2]

[1] نفس المرجع السابق ص 422.

[2] ناجم مولاي ،(أزمة الهوية في ظل تحدي الاغتراب) ص 422.

2/ الاغتراب في العصر الحديث و المعاصر:

وهذا المعنى هو الذي يهمنا فهو يدرس الاغتراب مرتبطا بالهوية إذ أن الاغتراب هو فقدان للهوية.

فعند هيجل "هو العالم الموضوعي الذي يمثل الروح المغتربة وغاية الفلسفة إذ تقهر الاغتراب عن طريق المعرفة وتقدم الوعي".[1]

اما ماركس فقد تأثر بهيجل ففكرة الاغتراب الأساسية تتخلص في أن يفقد الإنسان ذاته، ويصبح غريبا أمام نفسه تحت تأثير قوى معادية وإن كانت من صنعه كالأزمات والحروب ففي الاغتراب يستنكر الإنسان أعماله ويفقد شخصيته، وفي ذلك ما يدفعه إلى الثورة لكي يستعيد كيانه".[2]

فالانسان سيثور على الطرف الثاني الذي سلبه حريته وقيده وأفقده هويته، سيثور ليستعيد ما سلب منه.

فليس بالضرورة أن يكون الطرف الثاني المستعمر، فقد يكون هو نفسه، وقد يكون وطنه ولربما شخص يحبه كان يرى فيه نفسه وهويته فهنا إما ينجح وإما يفشل لأن "الهوية حالة مثالية أما الاغتراب حالة واقعية".[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 422.

[2] المرجع نفسه ، ص 422.

[3] حسن حنفي حسنين الهوية القاهرة المجلس الأعلى لثقافة ط1، 2012، ص 21.

الاغتراب يدفعك للبحث عن هويتك عن سبب وجودك لأن الهوية هي الوجود هي الدافع لتقدم الانسان ، فتمنحه القوة لأنه يعرف ماضيه وحاضره فلا يجد سببا ليتجادل مع نفسه.

على عكس الذي يفقد هويته فيفقد معها سبب وجوده فيصبحفي حالة ضياع "فيشعر بالعدم والخواء والفراغ الذي يحس به الوجوديون مثل سارتر وهيجل في قولهم: "الوجود عدم" "[1]، فسيطر شعور الحزن والألم لدرجة أنه يشعر بأن وجوده ليس له أساس فينتحر لأنه يرى في الانتحار أنسب حل لتجاوز ما هو فيه وما يتعب نفسه.

وإما ينتظر الفرصة ليأخذ طريقا مغايرا مختلفا عن الطريق الأول، طريق العنف والعدوان "ليتخارج الانطواء إلى فعل حقيقي عن طريق المخدرات بأنواعها كافة"[2]، فهي التي يرى فيها الأغنياء والمترفون نوعا من أنواع البذخ والترفيه عن النفس والترويح عنها، أما عند الفقراء فهي الحاجة والعوز ونسيان لما يقاسونه مع الحياة من شقاء وعناء فيبقى اختلاف تصنيف بينهم فقط فالكل يتاجر بها ،الغني والفقير، بدون أن تنسى الطبقة الوسطى التي رأت فيها مزجا وسلطنة، وهذا ما تجلى في روايات نجيب محفوظ مثل "ثرثرة فوق نهر النيل" وهي رواية صورت لنا مجموعة من الأصدقاء رجالا ونساء من الطبقة المثقفة كيف يجتمعون في مجلس كيف على ظهر عوامة فوق نهر النيل ليتبادلوا أطراف الحديث ويناقشون مشاكل الحياة، فالمخدرات تأخذهم إلى عالم آخر يريدون الغوص فيه ولا

[1] المرجع نفسه ص 25.

[2] المرجع نفسه ص 25.

يرغبون بالخروج منه لما يمنحهم من راحة واستقرار ونسيان لما يواجهونه في هذه الحياة، لذلك نجدها قد جذبت الكثير من الدراسات الاجتماعية فحاولوا الكشف عن أسبابها ودوافعها وطرق علاجها، "وقد انتشرت هذه الظاهرة في الأدب الحديث العربي والغربي بخاصة في الأدب الوجودي، واشتهر بعض كبار الأدباء بالتعامل مع الظاهرة مثل جان جينيه وغيره".[1]

وقد تختلف الطرق المؤدية إلى تحقيق الهوية في أشكال أخرى من الانحراف و الشذوذ الجنسي الذي أصبح منتشرا بصفة غريبة، ويشمل جميع طبقات المجتمع حاله حال المخدرات.

وقد تسترد الهوية على عكس ما ذكرناه سابقا، وذلك بالانغماس في الحياة والانصهار فيها والتفاعل معها وهذا كله لنسيان الهوية الضائعة "لذلك انتشرت "المولات" و"السنترز" و"الأستارز"...فيجدون فيها هوية بديلة، معظمها أسماء أجنبية بالفرنسية والإنجليزية والإسبانية، كوفي شوب، بيتزاهت، ماكدونالدز، جينوز".[2]

وبهذا قد يصل به الحال إلى تبني هوية جديدة جراء الرغبة في العيش على نمط الآخر، فيجد نفسه بين نارين لا هو قادر على نسيان هويته الأصلية التي ولد وتربى عليها في بلده الأم البلد المهجور الذي يحفظ عاداته وتقاليده ويتحدث لغته ولا يشعر بالغربة وسط

[1] حسن حنفي حسنين الهوية ص 26.

[2] المرجع نفسه ص 27.

أهله وناسه، ولا هو يستطيع كسب هوية جديدة تحمل في كنفها لغة جديدة، أناس مختلفون، عادات وتقاليد مغايرة وقد تتنافى معالمبادئ التي تربى وترعرع عليها ، فيصعب عليه الاندماج والتعود عليها.

وكثيرا ما نلاحظ التمسك بمظاهر الهوية، اللحية والجلباب والحجاب والنقاب وكما قيل: "إذا أراد الإنسان أن يكون سلفيا فليذهب إلى الغرب وإذا أراد أن يكون تقدميا فليأت إلى العالم الإسلامي، فكل شيء يعرف بنقيضه".[1]

ومن هنا يتضح لنا أن الاغتراب بمفهومه الإيجابي السعي في طلب الرزق بحيث لا يستسلم للظروف التي تحاول اسقاطه في دوامة العيش في زاوية مغلقة ومثل هذه المعايير يحث عليها القرآن الكريم يقول تعالى: **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ)**.[2]

وكذلك تبادل المعلومات والاستفادة من كل ما هو جيد والاستفادة من مهارات وخبرات من خلال الاحتكاك بالجاليات المتنوعة.

أما من الناحية السلبية فالاغتراب له أضرار خصوصا في ظل فقدان المغترب لهويته لأنه مع "مرور الزمن لا تصبح تهمه الوقائع الثابتة والحقائق الصحيحة وعليه تكون أزمة

[1] نفس المرجع السابق، ص 29.

[2] سورة الملك (الآية 15).

فقدان الهوية "الأنا""[1] والشعور بالحرمان (نفسي–سياسي–ثقافي...الخ) وعلاقة الاغتراب بالهوية لها وجوه متعددة لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان حسب المجتمع فنجد الهوية والاغتراب (السياسي–الديني–الثقافي–الاقتصادي...الخ) وسنتطرق باختصار إلى أهم أشكال الاغتراب:

1/الهوية و الاغتراب الديني:

فهو الذي يتجلى في علم العقائد والتصوف* فهي التي تقسم العالم إلى قسمين: "الأعلى والأدنى، الخالق والمخلوق الأبدي والزمني، الخالد والفاني...الأول تستريح إليه النفس، والثاني تشقى فيه ، الأول بيده كل شيء، العلم والفعل، يرسل العلم ويوجه الفعل، والثاني يتلقى العلم يحقق الفعل وفي الأغلب تتحقق الهوية خارج العالم، في عالم مفارق، عالم علوي يتجاوز هذا العالم يسميه اللاهونيون والصوفية "**الله**".[2]

فالهوية في نظرهم تتحقق حين يرحل الإنسان من عالمنا هذا إلى العالم الآخر عالم ينفرد مع الله فيذوب المخلوق في الخالق فلا يرى أمامه إلا الله فيصبح هو والعالم والله شيئا

[1] أ.ناجم مولاي أزمة الهوية في ظل تحدي الاغتراب ص 426.

*التصوف ارتبطت دلالته بالتواضع لله عز وجل والانكسار له وإيثار الزهد في نعيم الدنيا رغبة في تحقيق مقام القربة من الحق تعالى، وهذه من سمات الأنبياء الصالحين فمن اقتدى بهم ولبس حسن الثياب وأدناها للتواضع فقد دخل في زمرة الصالحين، الدكتور أمين يوسف عودة تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، جامعة أهل البيت، الأردن، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، إربد ، شارع الجامعة بجانب البنك الإسلامي، ص07..

[2] حسن حنفي حسنين، "الهوية" ص 41.

واحدا، فالهوية هنا تفرغ العالم منها لتصبح مملوءة من خارجها من عند الله فتتحول إلى خيال ينشد شعرا يعبر عن لوعة الحبيب.

2/الهوية و الاغتراب السياسي:

وهو الذي كشف جذوره ماركس، فهذا النوع من الاغتراب يفقد العامل هويته لدى صاحب العمل لأنه سيكرس له كل وقته وحياته فيزرع فيه الخوف ويطغى الضعف على شخصيته فيصبح وكأنه مستعبد من طرف سيده وهذا ما رفضه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن الخلافة حين قال: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟"[1]

فبدل أن يمتلك العامل جزاء عمله يمتلكه صاحب العمل، "فلا يسترد الإنسان هويته إلا إذا صحح وضعه الاجتماعي وامتلك نتائج عمله، وشعر بقيمته وتحرر من وضعه الطبقي ولا يأتي ذلك إلا بالصراع الطبقي، وتحرير العبد من السيد".[2]فنجده يعمل ولا يحصل نتائج عمله، ففائدته لا تعود بالنفع اليه بل تعود لغيره، فبذلك يعيش للآخر، فيتضارب مع نفسه فهو يريد ولا يستطيع التحرر من قبضة سيده لتحقيق أهدافه والعودة بالفائدة على نفسه لا غيره، وهذا كله يولد لديه الشعور بالفشل والبؤس والشقاء فتنطفئ هويته الأصلية ولكن الضغط قد يولد الانفجار الذي يتحول إلى ثورة مفاجئة يثور فيها على كل مظاهر الاستبداد السياسي والثقافي عن طريق الاستبعاد والتهميش.

[1] ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله عبد الحكم، "فتوح مصر و أخبارها، قسم كتب التاريخ والأثار والجغرافيا ص290.

[2] حسن حنفي حسنين (الهوية) ص (53-54).

المطلب الثاني : الهجنة ومسألة العيش في الفضاء الثالث.

لا يمكننا الحديث عم الهجنة والتطرق إلى قضاياها وأهم ما قيل فيها دون الوقوف على دلالة المصطلح في المعاجم العربية لمعرفة العلاقة بين الدلالة اللغوية والمعنى الاصطلاحي.

أولا: مفهوم الهجنة(Hybridity):

لغة:

"(الهجنة): غلظ الخلق في الخيل والعيب والقبح يقال: في كلامه هجنة.

(الهجين): اللبن ليس بصريح ولا لينا.

ويقال رجل هجين لئيم و–من الخيل: ما تلده من حصان عربي.

ومن الناس: الذي أبوه عربي وأمه أعجمية".[1]

"الهجنة في الكلام: ما يلزمك منه عيب. تقول: لا تفعله فيكون عليك هجنة".[2]

وعلى حد قول روبرت يونغ: "هو تقنيا مزيج بين نوعين مختلفين"[3] بغض النظر عن طبيعتهما ومصدرهما.

---

[1]معجم الوسيط مؤلف مجتمع، اللغة العربية، قسم المعاجم والقواميس، د.نشر مكتبة الشروق الدولية ص 975.

[2]الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، الجزء الرابع ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 2009، مادة هجن.

[3]أنيا لومبا في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ، ترجمة محمد عبد الغني غنوم ،د.نشر. دار الحوار ،طبعة الأولى 2007 ص 177.

فهذا المصطلح لم يشمل الإنسان والحيوان فقط بل ذهب إلى أبعد من ذلك وأصبح يستعمل كمصطلح حتى في البستنه وذلك من خلال التطعيم الذي يتم بين نوعين مختلفين من نباتات سواء أزهار أو أشجار...الخ لمنحنا جنسا ثالثا ونوعا آخر مغاير ومختلف يصح القول بأنه هجين وبهذا ظهر مصطلح فن البستنه (Horticulture)، فالمصطلح يشير إلى تناسل متبادل لجنسين مختلفين بالتطعيم أو التأبير المتبادل لتكوين ثالث جنس هجين".[1]

اصطلاحا:

الهجنة من المصطلحات التي نالت اهتمام العديد من الباحثين في حقل الدراسات ما بعد الكولونيالية وأهم من برز في دراسة هذا المجال مع البحث والغوص في تفاصيله الفلسطيني ادوارد سعيد والهندي هومي بابا في كتابيهما: الثقافة الامبريالية و موقع الثقافة على التوالي.

واستخدم هذا المصطلح "الهجنة في الخطابات ما بعد الكولونيالية لتعني التبادل بين ثقافات متعددة".[2]

[1] بيل أشكروفت وآخرون دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الأساسية ت: أحمد الروبي، أحمد حلمي، عاطف عثمان، المركز القومي لترجمة الجيزة، مصر الطبعة الأولى 2010.

[2] مديحة عتيق، ما بعد الكولونيالية، مفهومها، أعمالها، أطروحاتها دراسات وأبحاث المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجلفة العدد 20.

والهجنة كمفهوم ثقافي كانت أكثر اتساعا إذ هي تلاقح بين عالمين مختلفين (عربي وغربي) ، يمنحنا مزيجا مأخوذ من سياقات متنوعة".[1]

فليس هناك ذات فنية صافية ونقية وغير مهجنة بحكم حوار الحضارات وتلاقح الثقافات فـ"جميع الثقافات، جزئيا بسبب التجربة الامبراطورية، منشبكة إحداهما في الأخريات، ليس بينهما ثقافة منفردة ونقية، بل كلها مهجنة مولدة، متخالطة، متمايزة إلى درجة فائقة وغير واحدية".[2]

فالثقافات كلها تأثر وتتأثر بعضها ببعض لتمنحنا مزيجا بينهما يولد ثقافة مختلفة.

ثانيا: الهجنة ودراسات ما بعد الكولونيالية:

بعيدا عنالأوروبيين نلاحظ أن الأسيويين أو المنتمين إلى العالم الثالث أكثر المهتمين بالخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الاستعمارية. فهم يريدون أن يسمع صوتهم ويرحل صدى قلمهم بما أنهم يمثلون الوضعية التي يعيشها المهاجر المهمش جراء نفيه أو اغترابه عن وطنه بسبب الظروف التي أجبرته على ذلك ، فيجدون بذلك أنفسهم "يمثلون المستعمر ولا يمثلونه يحملون جينه الوراثي ويكتبون باسمه لكنهم لا يعيشون الآن معه، يعملون على تفكيك خطاب المستعمر، ولكن يتوجهون بخطابهم إليه فهو بنظرهم الحر المثقف، وهم بذلك يعبرون عن وضعية ممزقه هي ذاتها النتاج الحقيقي لفترة الاستعمار

[1] كاترين آلبيرن وآخرون الهوية والهويات، الفرد، الزمرة، المجتمع تر: إياس حسن، منشورات الهيئة العامة الثورية للكتاب، دمشق–سوريا، الطبعة الأولى 2010 ص 315.

[2] ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب دار الآداب بيروت الطبعة الأولى 1987 ص 24.

وتمزقاته لذلك نجدهم غير حرصين على مفاهيم يرونها بائدة مثل: مفهوم الوطن أو القومية Nation بل نجدهم يحاولون تفكيك مثل هذه المفاهيم في محاوله لتطوير مفاهيم بديلة فهو في نظرهم أكثر واقعية كمفهوم التعددية أو التوافقية أو الهجنة Hybridity أو قد يتخذون من هذه الوضعية حالة لدراسة كما فعل سعيد كتب فكرة المنفى الوضعية البينية والهامشية التي يعيشها".[1]

ففي خطاباتهم يحاولون دائما تأكيد حضورهم في هذا العالم وإثبات وجودهم بانتمائهم إلى هويات حضارية مختلفة ومدارس فكرية متعددة. فلا يفتحون الأبواب للمستعمر لتحقيق هدفه المنشور وهو طمس هويتهم من خلال تهميشهم ونفيهم وممارسة آليات القمع والاستغلال عليهم، بل يسعون جاهدين للبحث عن هويتهم ومحاولة بلورتها برغم كل الظروف لأنها هي أساس وجودهم حتى وإن عاشوا وترعرعوا في بلد غير بلدهم، وعليه فـ"النظرية ما بعد الكولونيالية هي في الحقيقة قراءة للفكر الغربي في تعامله مع الشرق".[2]

والهندي "هومي بهابها" كان من أكثر الباحثين الذين أحدثوا ضجة بخصوص ثنائية الغرب والشرق المستعمر والمستعمر إذ يرى بأنهما مرآتان عاكستان لبعضهما تأثيرا وتأثرا.

[1] رزان محمود إبراهيم ، المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية قسم اللغة وآدابها جامعة البترا الخاصة ص (11-12).

[2] بسمة حديلي (دراسات ما بعد الكولونيالية من منظور أبرز أقطابها جامعة العربي التبسي –تبسة– مجلة إشكالات في اللغة والأدب العدد التاسع ماي 2016 ص 238.

وبهذا ينفي ما أنتجه ادوارد سعيد من ثنائية بين السيد والعبد (ذكرناها سابقا) المستعمر والمستعمر الأوروبي والآخر...الخ.

فهذه المصطلحات والثنائيات عادت بالإيجاب على المستعمر ومنحته حق الأفضلية ليسقطها "هومي بهابها "ويحل محلها ما يعرف "بالهوية الهجينة" لتعتبر "أنيا لومبا " "إن استخدام "هومي بهابها" لمفهوم التهجين كان الأكثر تأثيرا والأكثر إثارة للجدل في الدراسات ما بعد الكولونيالية".[1]

إذ أنه أسقط كل المفارقات التي أتى بها إدوارد سعيد ، ليجمع المستعمر والمستعمر في مكان واحد.

الهجنة الثقافية:

وهي كمفهوم ثقافي أوسع إذ هي مزيج بين ثقافتين مختلفتين ثقافة المستعمر والمستعمر، فهي نتيجة لاختلاط حضارتين مختلفتين عن طريق ارتباط بين عرقين مختلفين بواسطةالزواج الذي يولد فيما بعد جيلا مختلف التشكيل في الأسرة نفسها وهو الذي سيجمع لونين مختلفين (أبيض وأسود) ديانتين مختلفتين (مسيحية–اسلام) وكذلك هويتين مختلفتين (عربية وأجنبية) وثقافتين مختلفتين فهذا الجيل لا يرث الأمور الجسدية والشكلية فقط بل يرث حتى الأمور الخارجية المحيطة به (عادات، تقاليد، لغة...الخ) فهذا "المفهوم

[1] أنيا لومبا: الكولونيالية وما بعدها، ترجمة باسل المسالة، دار التكوين دمشق سوريا ط2013 ص 43.

اليوم أصبح يطبق في مجالات أخرى غير الوراثة في مجال اللغة واللباس، وجمالية المادة الزخرفية والموسيقى والطباع بكلمة واحدة في الثقافة".[1]

ولكن لو عدنا بالزمن إلى الخلف فـ"لم يكن التهجين يشير منذ عشرين عاما إلا إلى الأشخاص الذي تختلف ألوان جلودهم ويتزوجون منجبين نسلا ذا مظهر بيني، وهكذا وصفت جماعات بالكامل وخاصة في البرازيل والكاراييب بالهجنة".[2]

وبهذا مصطلح التهجين كان محدودا سابقا في نطاق متعلق بالأشخاص واختلافاتهم بعيدا عن المؤثرات الخارجية التي يتحكم فيها المجتمع بعاداته وتقاليده...الخ التي تظهرثقافته.

ولا يخفى علينا أن"ثقافة ما بعد الاستعمار ظاهرة هجينة تتضمن علاقة جدلية بين المنظومة الثقافية الأوروبية الممنوحة وبين وجود وطني متعين".[3]

فهي انصهار ثقافتين مختلفتين في وعاء واحد بطريقة ذكية لا يتخلى فيها الكتاب عن الفرضيات الأدبية الجمالية لثقافتهم هم وتوظيف تراثهم المحلي بطريقة واعية يظهر فيها" دور الثقافة وتشكيل تجربة الحياة اليومية في المجتمعات".[4]

[1] كاترين ألبيرن وآخرون (الهوية والهويات) ص 314.

[2] نفس المرجع السابق ص 314.

[3] رزان محمود إبراهيم، المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية ص 12.

[4] نفس المرجع ص 12.

فالكتاب سيحاولون دائما العودة إلى ثقافتهم الأصلية وتراثهم المحلي بحيث لا تطغى عليه ثقافة المستعمر.

فهنا "فكرة التوافق الثقافي باعتبارها ميزة حتمية لكل مجتمعات ما بعد الاستعمار"[1] لم تقف حاجزا بين الكتاب وثقافتهم المحلية ولم تمنعهم من إحياء تراثهم الأصيل، وهنا يشدد "الركيبي" على ضرورة تمسك ثقافتنا بجذورها وأصولها وإن لم يحدث ذلك فستصبح خطرا على فكر المجتمع ، و"إذ أي ثقافة لا لون لها ولا عقل يحركها ويوجهها تصبح خطرا على المجتمع وعلى وحدته".[2]

الفضاء الثالث:

ظهر هذا المفهوم على يد الناقد الهندي "هومي بهابها" في معرض نقده لكتاب الاستشراق "لادوارد سعيد"، وبرغم الانتقادات التي وجهت لهذا المفهوم إلا أنه يمكن أن نذكر بأنه من أهم المفاهيم التي أتى بها "هومي بهابها".

[1] نفس المرجع السابق ص 12.

[2] عبد الله ركيبي الهوية بين الثقافة والديمقراطية (دراسات أدبية ومقالات) دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع القبة الجزائر 2009 ص 104.

"فلقد انتقد التصور السكوني للشرق والغرب"[1] الذي يفصل الشرق عن الغرب ويضع كل منهما في موقعه بعيدا عن كونهما حيزين جغرافيين بل كونهما مفهومين يتشكلان في الكتابة.

فتطورات نظرية ما بعد الكولونيالية باعتبار الشرق مستعمرا والغرب مستعمرا انطلاقا من "نظرة الارتباط الأوتوماتيكي بين المقدمة الاستشراق والنتيجة الامبريالية والاستعمار".[2]

أما إذا تطرقنا لمفهوم الفضاء الثالث ببساطة بعيدا عن التعقيد فهو التقاء فصلين مختلفين كل الاختلاف.

"الفضاء الأول هو فضاء المستعمر وهو مشكل من دينه وثقافته ولغته وتاريخه أي عالمه الخاص. والفضاء الثاني هو الفضاء الذي أتى به المستعمر، وهو يحتوي على عالمه الخاص كذلك".[3]

وبطبيعة الحال الالتقاء بين هذين الفضاءين سيمنحنا فضاء جديدا يجمع بينهما وهذا الأخير (الفضاء الجديد) طوره "هومي بهابها" وأطلق عليه مفهوم الفضاء الثالث ، "تاريخيا تشكلت الأرهاصات الأولى للفضاء الثالث في عالم المستعمرة هذه المستعمرة التي يعتبرها

[1] خالد العارف، الفضاء الثالث في روايات واسيفي الأعرج، شطب الحدود وإعادة الكتابة (مناقشات ومراجعات)، مجلة تبين Tabayyon، العدد 4/14 خريف 2015 ص 1 (165) من مجلة.

[2] المرجع نفسه ص 2 (ص 166 من مجلة).

[3] المرجع نفسه ص 2 (ص 166 من مجلة).

"هومي بابا" الموجب الآخر للحداثة الغربية إلا أن "هومي بابا" يحاول مجاوزة ذلك بالتركيز على ما يسميه الحدود، وهو الفضاء، أو بالأحرى الأفضية، حيث تحتك الهويات وتتجاذب فيما بينها وحيث يقع فعل الترجمة الثقافية والتهجين".[1]

ولقد فرق "هومي بهابها" ضمن هذا المفهوم بين التنوع الثقافي (cultraldiversity) وبين الاختلاف الثقافي (cultraldifferece) معتمدا على فرانز فانون وستيوارت هال في مقاله المعنون بـ"الالتزام بالنظرية".

والتنوع الثقافي ظاهرة طبيعية وسمة أساسية في المجتمعات البشرية وهذا ما يؤكده الله سبحانه وتعالى في قوله **(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)**.[2]

لنعود "لهومي بابا" الذي يرى أن التنوع الثقافي يؤدي إلى التعددية الثقافية التي تعمل على الاحتواء وهذا باعتراف الثقافة المهيمنة بالثقافة الأخرى لكن ضمن وضعها في نطاقها الخاص وهذا ما يسميه بابا "خلق التعدد الثقافي واحتواء الاختلاف الثقافي".[3]

---

[1] نفس المرجع السابق ص 2.

[2] القرآن الكريم سورة الروم الآية 22.

[3] خالد العارف الفضاء الثالث في روايات واسيني الاعرج، شطب الحدود وإعادة الكتابة مجلة تبين ص 2 (ص 166من مجلة).

وكذلك اعتبر "هومي بابا" أن كل ثقافات متساوية باعتبارها عملية لإنتاج الرموز والألفاظ والمعاني والاستعارات التي نحيا بها، فوضع الترجمة الثقافية كمفهوم بديل للتعددية الثقافية فالترجمة هي التي تبنى على أساس الاغتراب حين يجد الانسان نفسه مجبرا على ترجمة الكلام ليفهمه ويتعايش مع الآخر، فلذلك كل الثقافات متشابكة متداخلة في بعضها البعض، فهي بذلك دائما داخل حيز التهجين "وهو في نظر بابا ذلك الفضاء الثالث الذي يمكن مواقف/مواضع أخرى من البروز داخل الحقول الثقافية والاجتماعية والسياسية".[1]

وبهذا انتقد "هومي بابا" "إدوارد سعيد"، وأتى بمفاهيم جديدة للهجنة تتنافى مع ما ذكره "إدوارد سعيد" في مفهومه للهجنة .

[1]نفس المرجع السابق ص 2 (ص 166 من مجلة).

الفصل الثاني: الهوية والهجنة في رواية عائد إلى حيفا

المبحث الأول: مدخل إلى الأدب الفلسطيني ما بعد الاستعمار

المطلب الأول: الاستعمار وأثره على الهوية العربية الفلسطينية:

المطلب الثاني: أهم الروايات العربية ما بعد الكولونيالية.

المبحث الثاني: تجليات الهجنة في رواية " عائد إلى حيفا

المطلب الأول: مظاهر الهجنة الثقافية

المطلب الثاني: انشطار الهوية في ثنيات الرواية

الفصل الثاني: الهوية والهجنة في رواية عائد إلى حيفا

المبحث الأول: مدخل إلى الأدب الفلسطيني ما بعد الاستعمار

المطلب الأول: الاستعمار وأثره على الهوية العربية الفلسطينية:

إن جدل الأنا والآخر جدل قائم منذ القدم، يقوم على التعارض إلى درجة التصادم، فقد انعكس هذا التصادم في الأعمال السردية العربية و هذا راجع إلى البحث عن الهوية وذاتها المفقودة أمام الآخر.

إن رواية عائد إلى حيفا "أنسب رواية تمثل ذوبان الأنا (الفلسطينية) في الآخر (الإسرائيلي)، وفق معادلته طرفها الأول الآخر الذي تحكمه قوة استعمارية تريد فرض هيمنتها بأساليب الردع والإذلال، بحيث يعتمد الروائي في إظهار الآخر في روايته "عائد إلى حيفا" يقول: "وحين كان يقود سيارته وسط شارع حيفا كانت رائحة الحرب ما تزال هناك، بصورة ما، غامضة ومثيرة ومستفزة، وبدت له الوجوه قاسية ووحشية".[1]

نستنتج من هذا القول صورة العدو الغاشم الذي لا يعرف الرحمة وهمه الوحيد ممارسة القسوة والوحشية والاستفزاز وتكريس مبادئ الاستقلال والتبعية.

[1]– غسان الكنفاني، عائد إلى حيفا، منشورات الرمال قبرص، مطبعة كركي، بيروت، ط1، سنة 1969، ص9.

وفي مثال آخر يقول: "حين لمح مجموعة من الجنود المسلحين يقفون أمام حاجز حديدي، وحين كان يرمقهم بطرف عينيه، صدر صوت انفجار من بعيد، وأعقبه طلقات رصاص".[1]

ومن هذا القول نستخلص مدى عدوانية إسرائيل على الشعب الفلسطيني والاستبداد التي تعرض إليه ولمح ذلك بالسلاح وطلقات الرصاص.

أما الطرف الفلسطيني فتحكمه ثقافة عربية إسلامية ومعتقدات روحية وتميزه بهوية فلسطينية لا غير، لقد ورد مفهوم الهوية عند ماجدة حمود بقولها: "إن الهوية هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصيته، ومحددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون ... للأخرين، لهذا تعد شرطا ملازما للفرد، يؤثر في الجماعة ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل "الأنا" عن "نحن" لأن الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة والتماهي بها".[2]

نستنتج من خلال القول "ماجدة حمود" أن الهوية تمثل البصمة لدى الإنسان مما يمنحه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين ، هذا المثال نسقطه على رواية "عائد إلى حيفا" وبالخصوص الشخصية التي أصفها بالبريئة والغالب على أمرها وهي الشخصية "دوف" الشخصية التي حرمت من رؤية نور هويتها الأصلية وتشربها لهوية الغير، بحيث

[1]– المرجع السابق ، ص10.

[2]– ماجدة حمود، إشكاليةة الأنا والآخر (نماذج روائيته عربية)، عالم المعرفة، دولة الكويت، د ط، 2013، ص15.

تم مسخه من لغته ودينه ومجتمعه وهويته الأصلية والحقيقية التي يعتبرها الآن غريبة عنه، أو دخيلة عنه في وجهة نظره بحكم الواقع الحتمي الذي طبق عليه.

ومن هنا نتطرق إلى الهوية الثقافية التي أوردها عالم الأنثربولوجيا تايلور (Tailor) حيث عرف الثقافة بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن، والأخلاق والقانون والعادات أو أي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع".[1]

عبر الروائي الفلسطيني غسان كنفاني في روايته "عائد إلى حيفا" عن القضية الفلسطينية بأسلوبين، الأسلوب الأول باللغة العربية الفصحى، والأسلوب الثاني باللهجة العامية، حيث نجح في توصيل الواقع الأليم بكل تفاصيله ومن خلال هذا عكس قضية أمته التي تتخط في صراع العدو الإسرائيلي، حيث ظهر فارق اللغة في رواية "عائد إلى حيفا" حيث يقول: "هل نستطيع الدخول؟ ولم تفهم المرآة العجوز، السمينة بعض الشيء والقصيرة والتي كانت تلبس ثوبا أزرقا منقط بكريات بيضاء، فأخذ سعيد يترجم إلى الانجليزية".[2]

هذه المرأة تدعى ميريام من النازحين إلى دولة فلسطين، التي كانت لغتها الانجليزية أقرب إلى الألمانية، لذلك لم تفهم لغة سعيد وزوجته وفي المقابل كان ترجمة

[1]– د/ أحمد بن نعمان، هذي هي الثقافة، شركة دار الأمة، الجزائر، د ط، د ت، ص19.

[2]– غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص29.

سعيد وصفية صعبة ولكن كان الأمر مختلفا عندما تتكلم ميريام اليهودية مع دوف أو خلدون كما سمته هي طوال العشرين سنة التي ربته فيها، حيث قالت ميريام بالانجليزية "تعال هنا يا دوف: يوجد ضيوف يرغبون برؤيتك"،[1] نلاحظ من خلال هذا اختلاف اللغة، فاللغة هي: "القانون الأول الذي يعرض نفسه على كل فرد، إذ تقوده إلى الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة، أي أنها ترغم الفرد على تمرير عالم الرغبات والتمثلات الطفولية من مصفاة مقولاته الاختزالية، لكنه يحصل مقابل تلك التضحية على القدرة على تسمية الأشياء والتأثير فيها، ويحصد وينال اعتراف الآخر به"،[2] ومن هذا المنطلق أصبحت اللغة أساس لوجود الإنسان فمن خلالها يثبت انتماءه لهوية وثقافة ومجتمع معين.

وللعلم أن هاذان الضيفان سعيد وصفية والداه الحقيقيان، و هنا تكمن الفاجعة، والتي تتمثل في الصراع، الصراع الأول هو تضارب بين لغتين، والثاني بين الحقيقة والخيال، لأن الرضيع تقمصشخصية لا تمد لدمه بصلة، وهذا ذنب العظيم وصفعة كبرى لوالديه والأكبر للأم التي نست رضيعها وهربت، وفي المقابل كان جزاء التخلي عن رضيعها الكيل بمكيالين، حيث نترصد الخيبة التي واجهاها سعيد وصفية حيث يقول دوف أو خلدون: "أنا لا أعرف أما غيرك، أما أبي فقد قتل في سيناء قبل 11 سنة، ولا أعرف

[1]– غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، ص62.

[2]– ينظر: جلبير غرا تغيوم، اللغة العربية والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة محمد أسليم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2011، ص87.

غيركما"،[1] هذي هي الحقيقة، حقيقة أنه أصبح ينتمي إلى أسرة أخرى وثقافة أخرى، وبالتالي يتكلم لغة أخرى، فالهوية مرتبطة بما يكتسبه الإنسان عبر السنين وما يأخذه من غيره من ثقافة ومتعلقاتها، والحقيقة الصادمة هي أنه لم يعترف بوالديه الحقيقيين وظل متمسكا بوالديه قلبا وقالبا بوالديه الغير الشرعيين.

إن الهوية الثقافية الدينية إحدى أهم العناصر المنبثة من رواية "عائد إلى حيفا" بحيث تعد الديانة أقوى مرتكزات الهوية الثقافية التي تشكل المعنى الحقيقي للأمم، فالإيمان بدين معين لا يقبل الطعن فيه وإنما افتراض القطع فيه لدى معتقدة المنتسب إليه والذي يمثل جزءا هاما من المرتبة الثقافية، وفي رواية "عائد إلى حيفا"، نلاحظ اختلاط ثقافتين، الثقافة الدينية الأصلية القومية الفلسطينية الإسلامية، والثقافة الأخرى الدخيلة وهي ثقافة دينية يهودية إسرائيلية، بحيث يحاول ابراز وتماهيكل منهما الآخر بديانته وفرضها على الآخر "إن ثقافتنا إسلامية الهوية، وأن معيار الدخول والخروج في ميدان ثقافتنا، والقبول والرفض فيها، هو المعيار الإسلامي".[2]

من خلال هذا القول نستنتج أن الإسلام هو القانون الجامع للأمم كلها من خلال ثقافاتهم وقيمهم الحضارية على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.

[1]– غسان الكنفاني، عائد إلى حيفا، ص63.

[2]– د/ محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر المنطقة الصناعية الرابعة، كامل صديقي، الفجالة، القاهرة، ط1، 1999، ص7.

إن الهوية الثقافية الدينية إحدى أهم عناصر الثقافة المنبثقة في رواية "عائد إلى حيفا"، تمثلها شخصية "دوف" أو "خلدون" التي تكتسب معنى الانتساب إلى ديانة معينة، من فلسطيني إلى إسرائيلي أي من ديانة مسلمة إلى يهودي وهذا راجع إلى تبني خلدون الرضيع الفلسطيني من طرف أسرة يهودية وتمثل ذلك في "رواية عائد إلى حيفا" بفكرة التبني التي ترحب بها الثقافة اليهودية، ففي الرواية تقوم الوكالة اليهودية بمنح طفل "سعيد" و"صفية خلدون إلى زوجين إفراتكوشنوميريام ليتبنياه، ويصيرا أبويه بالتبني، "ولم يكن هذا العرض إلا مفاجأة مدهشة لإفرات، الذي كان يتحرق لتبني طفل بعد أن تأكد كليا من أن ميريام غير قادرة على الإنجاب".[1]

فهذا الطفل الذي كان اسمه خلدون صار شابا اسمه دوف ويحمل انتماء إسرائيليا، و هو متعلق بشتى صور الثقافة اليهودية.

كان هذا الواقع أو الحقيقة مرة تشبه الخيبة، حيث عبر على ذلك سعيد أبو خلدون قوله"

"أي خلدون يا صفية؟ أي خلدون؟ أي لحم ودم تتحدثين عنهما؟ وأنت تقولين إنه خيار عادل إلقدعلموهعشرينسنةكيفيكون،يومايوما،ساعةساعة،معالأكلوالشربوالفراش، ثم

[1]– غسان الكنفاني، عائد إلى حيفا، ص45.

تقولين: خيار عادلİ إن خلدون، أو دوف، أو الشيطان إن شئت، لا يعرفنا، أتدرين رأيي؟ لتخرج من هنا ولنعد إلى الماضي، انتهى الأمر، سرقوه".[1]

من خلال هذا نستنتج أنها حقيقة مدمرة لذات، نتقاسمها ونعيشها طول حياتنا لا تنسينا الأيام ولا شهور إلا أنا يأخذنا الموت، أي عقل يتحمل هذه الواقعة ابنهم يعيش في كنف المسيح.

ومن خلال الرواية نستنتج ظاهرة من مظاهر الديانة اليهودية وهي فكرة التبني التي ترحب بها الثقافة اليهودية، بينما تنكرها الديانة الإسلامية وتحرمها، حيث ظهر ذلك في المقطع الآتي "عرضوا عليه بيتا في حيفا نفسها، كامتياز خاص، إن هو قبل يتبنى الطفل"،[2] وهذا مخالف للشريعة الإسلامية.

وأيضا ظاهرة لفتت انتباهنا، وهي استبدال الهوية الدينية لمدينة حيفا وهذا راجع إلى الاحتلال الصهيوني للمنطقة، كانت ذي قبل إسلامية تحولت إلى ثقافة دينية يهودية، وذلك عند عودة سعيد وزوجته صفية إليه بعد مرور عشرين سنة، فوجدا كل شيء تغير، الناس وسكان حيفا لم يعودوا من الفلسطينيين بل أصبحوا جماعات مهجرة من أوروبا عن طريق الوكالة اليهودية التي رحلت الفلسطين بالقفص والتدمير، في المقابل منح منازلهم لليهود "قد وصل إفرات إلى حيفا، برعاية الوكالة اليهودية قادما إليها مع زوجته من ميناء

[1]– غسان الكنفاني، عائد إلى حيفا، ص49.

[2]– مصدر نفسه ، ص45.

ميلانو الإيطالي"[1] ويقول في موضع آخر: "لقد كان سبتا يهوديا حقيقيا، وابتعث ذلك شيئا من الدموع في عينيه لسبب لا يستطيع تفسيره، وحين رأته زوجته كذلك فوجئ بها تقول له، والدموع في عينيها: إنني أبكي لشيء آخر، إنه سبت حقيقي، ولكن لم يعد ثمة جمعة حقيقية معنا، ولا أحد حقيقي".[2]

وكذلك في تصريح الذي صرح بهدوف لوالده الحقيقي سعيد: "أنا لم أعرف أن ميريام وأبغرات ليسا والدي إلا قبل ثلاث أو أربعة سنوات، منذ صغري وأنا يهودي، أذهب إلى الكنيسة وإلى المدرسة اليهودية وأكل الكوشير، وأدرس العبرية وحين قالا لي- بعد ذلك أن والدي الأصليين هما عربيان لم يتغير شيء، لا لم يتغير ... ذلك مؤكد... إن الإنسان في نهاية الأمر قضية".[3]

وهذا نتيجة ترك الابن "خلدون" في شهره الخامس ويهربان، وكيف ل "دوف" "خلدون" مواجهة الواقع بسهولة وتقبلهما بعد مرور عشرين سنة.

وفي صلب الهم القضية الفلسطينية، تتصدر الهوية الوطنية بمواجهة النزاع الجدل، المتمثل في السعي لإقامة دولة مستقلة وتقرير المصير، وهي بالضرورة قضية المشروع الوطني الأول والأخير، الذي يعبر عن هوية الشعب الفلسطيني، كما أنه

[1]- غسان الكنفاني، عائد إلى حيفا، ص37.

[2]- المرجع نفسه ، ص42.

[3]- طلعت عبد العزيز أبو العزم، أدب ما بعد الاستعمار ونظريته النقدية، ص87.

صاحب أرض وقضية وهذه هي أساس هويته، وهي إرث للفلسطنيين منذ القدم، في المقابل ربط اليهود قوميتهم بفلسطين، وعدوا أرضها أرض أسلافهم السابقين، وسموها أرض إسرائيل، "وهذا المصطلح أرض إسرائيل من خلق المصدر اليهودي، وهو يعبر بكل قوة عن الشعور القومي العنصري الذي اتصف به التفكير اليهودي، والذي أصبح سمة مميزة من سمات الديانة اليهودية".[1]

من خلال هذا نستنتج أن الخطوة الصهيونية تسعى إلى استرجاع أرض الميعاد، وفي المقابل تجريد الفلسطيني من ملكية أرضه، ونجد هذا في رواية "عائد إلى حيفا" "جئت ألقي نظرة على بيتي هذا المكان الذي تسكنه هويتي أنا، ووجودك فيه مهزلة محزنة ستنتهي ذات يوم بقوة السلاح، تستطيع إن شئت أن تطلق علي الرصاص هذه اللحظة، ولكنه بيتي وقد انتظرت عشرين سنة لأعود إليه، إذا "[2] هذا هو الشعور الذي لا يقاوم، شعور بالانتماء إلى بلده المنتزعة منه بالقوة، لا يستغنى عنه بسهولة لأنه يمثل هوية الوطنية وثقافية ودينية وكل شيء والأكبر من ذلك الوطن فلسطين الحبيبة.

[1]– محمد خليفة حسن أحمد، علاقة الإسلام باليهودية (رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1988، ص 49.

[2]– غسان الكنفاني، عائد إلى حيفا، ص53.

المطلب الثاني: أهم الروايات العربية ما بعد الكولونيالية.

توجهت الفئة المثقفة العربية نحو رصد ودراسة الصراع القائم بين ثنائية الشرق والغرب انطلاقا من تشكل الوعي الإنساني لدى هذه الفئة مما دفعها على تحليل وتسجيلها مناقشة الخطاب الاستعماري واكتشافها مواطن الاختلاف بين هذه الثنائية وغالبا ما تنتمي هذه الفئة من الكتاب إلى الشعوب الدول المستعمرة ومن بين هذه الفئة نذكر "ادوارد سعيد" الذي كان له الفضل الكبير في نصرت قضايا الشعوب المستعمرة الواقعة تحت الاستعباد والظلم والعنف خاصة القضية الفلسطينية فقط أشار إليها في كتبه "الثقافة والامبريالية" "خارج المكان" تتجلى في هذه الكتب معالم "هذه القضية التي تتمثل في نظرية ما بعد الكولونيالية التي تطورت مباشرة بعد صدور الكتاب "الاستشراق" و صار مجالا أكاديميا"[1] من خلال هذا الكلام نستنتج أن سعيد عن طريق كتابه الاستشراق فتح لنظرية ما بعد الكولونيالية باب التطور والتحرك و المناهضة.

اما خارج المكان فهو سيرة ذاتية لسعيد تعتبر سردا للذات ،حيث عكس هويته المركبة وتجربة حياتها بين عالمين متضادين: "... العالم الذي تنتمي إليه عائلتي وتاريخي وبيئتي و ذاتي الأولوية الحميمية – وهي كلها عربية– من جهة ، وعالم تربية الكولونيالي وأذواقي وحساسياتي المكتسبة ومجمل وحياتي المهنية معلما وكاتبا من جهة أخرى ".[2]

[1] ينظر ك نلوولف وآخرون ، موسوعة كمبدريج في النقد الأدبي القرن العشرين المداخل التاريخية الفلسفية والنفسية ترجمة اسماعيل عبد الغني وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ج9 ، ط1 ، 2005 ، ص 339

[2] نورة فرج ، ارتباكات الهوية –أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية ، الفرنكوفونية– المركز الثقافي العربي الدار البيضاء –المغرب– بيروت لبنان – ط الأولى – 2007 ، ص 95.

هنا يظهر لنا من خلال قول "سعيد" ارتباكه حول هويته المركبة.

تحديد هوية "الآنا" على لم يتم إلا قياسا على هوية "الآخر" ولكن ثم إشكاليات داخل مصطلح الهوية نفسه ، فالهوية "هي ما يجعل شيئا ما متشابها مع شيء أخر[1]إن مسألة الهوية مسألةاختلاف و تماثل ، ولكن يكون التماثل مع احد الجوانب وفي المقابل يكون الاختلاف مع الجانب الأخر ومن هنا يمكن أن نقرأ التباسات في تشكل مفارقة الهوية داخل وخارج النصوص الروائية.

لقد أفضت التجربة الاستعمارية إلى بروز ظاهرة ثقافية لم تكن معروفة قط ، من قبل التي تمثلت في التعبير و الإفصاح والكتابة باللغة المستعمر.

تبنت الشعوب المستعمرة هذه الوسيلة للتعبير عن ما مرت به وما زالت تمر به من مشاكل العدو الغاشم.

ومن بين الكتاب الروائيين نذكر "الطاهر بن جلون" الذي اختار الكتابة باللغة الفرنسية والتي كانت روايته تشتهر بكتابتها الفرنسية ، ومن بين كتابته نذكر روايته الفرنسية "ليلة القدر". La nuit sacrée التي صدرت في سنة 1987 ، حصل الروائي المغربي الأصل على جائزة غونكورconcourt الفرنسية بحيث كان هذا إعلانا عن انتماء هذه الرواية إلى الأدب الفرنسي [2] فقد ظهر الروائي "طاهر بن جلون" في تصريح له أن الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية مصدر الهام من قبل المغاربة، هنا يتضح خلفيات

[1]

[2] ينظر نور فرج ، ارتباكات الهوية –أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية ، الفرنكوفونية– ص 09.

الاستعمار الذي يسعى إلى إضعاف القدرة على الكتابة والتعبير باللغة العربية وفي المقابل تبنى لغة فرنسية خوفا من إضعاف اللغة العربية لأن بعض الكتاب لا يجدون كتابتها باللغة سليمة "فهذا الطاهر بن جلون يسوغ اختياره الكتابة باللغة الفرنسية بأنه خوف على العربية ، لا لأنه لا يجيدها، ولكن لاختلاف درجة إجادته اللغتين [1]

وهذا ما سعى إليه الاستعمار الفرنسي في استصغار اللغة العربية وتقوية اللغة الفرنسية لأن اللغة مظهر من مظاهر الهوية القومية.

عبر "ادوارد سعيد" عن الفارق اللغوي الذي كان مصدر قلق في حياته،حيث يقول: "ما اعرفه هو أن اللغتين كانتا موجودتين دوما في حياتي ، الواحدة منهما ترجع صدى الأخرى ويستطيع كل منهماادعاء الأولوية المطلقة من دون أن تكون هي فعلا الأولى وأنا أعز مصدر هذا الاضطراب الأولى إلى أمي أذكر أنها كانت تحدثني بالانجليزية والعربية معا".[2] من هنا نستنتج أن الازدواجية اللغوية سبب من أسباب زعزعة الوعي بالذات ، هناك من اتخذ لغة العدو نقطة قوة الروائيين مثلا الروائيين الجزائريين اختبار كتاباتهم أنها مكتوبة بطريقة عربية مترجمة إلى الفرنسية أي أنه ترجم روح العربية إلى لغة أخرى حيث "فرضت مقاومتها باللغة التي أجبرت الأقطار المستمرة على تعلمها قلم يملك مبدعوها من سلاح للمقاومة بالكتابة سوء لغة الاستعمار التي فرضوا عليها تجسيد

[1] المرجع نفسه ص 10.

[2] إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص 26

مشاعرهم القومية ورؤاهم التحررية"[1] نستنتج أن بعض الروائيين اتخذوا من لغة العدو مصدر قوة ومواجهة للاستعمار وإذلاله ومحاربته بلغته.

من بين هؤلاء الروائيين الروائي " كاتب ياسين" في رواية "نجمة" التي تعكس ما عاشته نجمته الجزائر التي كتبها مرغما باللغة الفرنسية لأنه فقد لغته الأم عندما تعلم في المدارس الفرنسية ، كاتب ياسين الذي جعل من اللغة الفرنسية غنيمة حرب من خلال محاربته بسلاحه ليبقى محافظا على هويته الجزائرية أمله في الاستقلال و طلب الحرية.

كذلك الروائي السوداني "الطيب صالح" الذي عمل على تصوير معاناته مع الآخر وحقلة واحتقاره له قد عكس كل هذا في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" التي كان بطلها "مصطفى سعيد" الذي كانت حياته بين الشرق والغرب اختلافا كبيرا، فقد كان ينظر للغرب نظرة كراهية، محاولا الانتقام منه بأي طريقة كانت ، أظهر الروائي" طيب صالح" الفرق الشاسع بين "مصطفى سعيد" في الغربة وفي الشرق ، كل هذا تأثير الحضارة الغربية التي تطلق سمومها على الشرق لكن تقليده لظواهر الحضارة وانغماسه فيها ينتهي بضياعه"[2]، هذا الأثر العميق الذي يسعى اليه الغرب من خلال تشويه وطمس هوية الشرق بأي طريقه شاءت.

[1] جابر عصفور ، تجارب في الإبداع العربي ، وزارة الإعلام – مجلة العربي ، الكويت ، ط الأولى ، 2009 ، ص 20.

[2] د.طلعت عبد العزيز أبو العزم ، أدب ما بعد الإستعمار ونظريته النقدية ، ص 61.

يتبين لنا أن الغرب في المرحلة الاستعمارية قد نظر إلى الشعوب المستعمرة نظرة عنصرية استعلائية بينما عملت الشعوب التي مرت بمرحلة الاستعمار همجية الرد على هذه العنصرية من خلال انتقادها لها وفضح همجية الاستعمار و وحشيته.

المبحث الثاني: تجليات الهجنة في رواية " عائد إلى حيفا

المطلب الأول: مظاهر الهجنة الثقافية

المطلب الثاني: انشطار الهوية في ثنيات الرواية

تجليات الهجنة في رواية " عائد إلى حيفا " لغسان كنفاني:

الهجنة الثقافية وهي ذلك المزيج الذي نتحصل عليه جراء انصهار ثقافتين مختلفتين ليمنحنا ثقافة جديدة وهجينة وهذا ما نلاحظه في البلدان المستعمرة من خلال اختلاط ثقافتها بثقافة المستعمر. فتنتج لنا ثقافة هجينة يغلب عليها في كثير من الأحيان الجانب الثقافي للكفة الأقوى وبطبيعة الحال الغلبة دائما للمستعمر، الذي يسعى لفرض نفسه وثقافته بشتى الطرق.

وهذا ما حاول غسان كنفاني معلاجته في روايته الموسومة بعنوان " عائد إلى حيفا " فتوقف في كثير من المرات على مواقف ترمي إلى الهجنة التي ولدها الاستعمار وفرضها بقوته وجبروته.

وكان حضورها أقوى من خلال نظرية ادوارد سعيد وكأن غسان كنفاني متأثرا بنظرة ادوارد سعيد الذي اسمه لوحده كفيل بتجسيد مفهوم الهجنة فهو مزيج بين الشرق والغرب معا، فكان أول ما استوقفنا في الرواية ثنائية ادوارد السعيد (المستعمر والمستعمر، السيد والعبد، الأبيض والأسود ... الخ) والتي ظهرت في الرواية من خلال قول سعيد لصفية " عليكم أن تقبلوا أن تكونوا خدما لنا معجبين بنا " [1]. ففي هذه العبارة وكأنه شرح كل ما يرمي إليه ادوارد سعيد من خلال ثنائية السيد والعبد فهنا الفلسطينيون يمثلون العبيد

[1] غسان الكنفاني عائد إلى حيفا دار منشورات الرمال قبرص www. Rimalbooks. Com، الطبعة الأولى 2013، طبعة سنة 2015، ص8.

والاسرائليين هم الأسياد. فقد صور حقيقة ما يريده المستعمر من الشعب المستعمر، بدفعه للاستسلام والخضوع والاعجاب بالمستعمر وثقافته والاحساس بالدونية والضعف أمامه.

فالمستعمر من خلال الرواية يريد فرض ثقافته فرضا شاملا لتطغى على ثقافة المستعمر، ومن أجل هذا حاول تغيير أسماء الشوارع وهدم بعض البيوت ودهن الجدران وتلاعب ببعض التفاصيل لتبدو حيفا بمنظر مختلف عما كانت عليه. وكأنهم يمهدون لأرضية مباراة هم حكامها، تفرض بداية ثقافة أخرى هجينة جديدة ومختلفة.

وهذا ما ظهر في قول سعيد حين قالت له زوجته صفية فجأة:

. " لم أكن أتصور أبدا أنني سأراها مرة أخرى.

وقال:

. أنت لا ترينها، إنهم يرونها لك "[1].

فهم صوروها لها، كما أرادوا لها أن تكون وهذا ما قصده سعيد. فالصهاينة أعادوا فتح حدودها بعد استكمال احتلالهم لها فجأة ليس حبا للفلسطينيين إنما انتقاما منهم وتلاعبا بمشاعرهم، وللوصول إلى هدف معين يريدون تحقيقه ضمن هذه الحرب، وهذا على حد قول سعيد في أسطر الرواية.

[1] المصدر نفسه ، ص8

" لقد فتحوا الحدود فور أن أنهوا الاحتلال فجأة وفورا لم يحدث ذلك في أي حرب في التاريخ، أتعرفين الشيء الفاجع الذي حدث في نيسان 1948 ، والآن، بعد لماذا؟ لسواد عينيك وعيني؟ لا، ذلك جزء من الحرب إنهم يقولون لنا: تفضلوا انظروا كيف أننا أحسن منكم وأكثر رقيا "[1]. فمن خلال هذه الكلمات نتصور الأسى والحزن الذي يستوطنه سعيد والحسرة على حيفا وما حل بها ليقول الكاتب: " فرائحة الحرب ما تزال هناك، بصورة ما، غامضة ومثيرة ومستفزة "[2]. فتمنى لو أنهم لم يرحلوا بعيدا عنها ولم يجبرهم الاحتلال الصهيوني على تركها ليجعلوا منها حيفاء جديدة وأجمل مما كانت عليه بعد 20 سنة على يد الاحتلال الاسرائيلي فقال سعيد:

. " كان بوسعنا أن نجعلها أحسن بكثير ... "[3].

ولكن برغم الأسى الذي يسكن القلوب والألم الذي يستوطن النفوس جراء الأحداث التي مرت عليها 20 سنة ، وسيطرة الاحتلال على المنطقة (حيفا) والتغييرات التي طرأت عليها إلا أن سعيد لم ينس تفاصيل حيفا وبقي محافظا عليها في ذاكرته وكأنه لم يرحل يوما عنها. فهو لا زال متذكرا أسماء شوارعها شارعا بشارع ومداخلها ومخارجها وحتى منازلها، فكان يسير بسيارته وكأنه لم تمر 20 سنة من الفراق المرير والدامي، بعد طردهم

[1] المصدر نفسه ، ص8.

[2] المصدر نفسه ، ص9.

[3] المصدر نفسه ، ص8.

بالقوة وابعادهم عنها رغما عنهم وكل هذا ظهر في صفحات الرواية حيث ذكر الكاتب كيفية قيادة سعيد لسيارته وسط شوارع " حيفا " فقال:

" وبعد قليل اكتشف أن يسوق سيارته في حيفا دون أن يشعر بأن شيئا في الشوارع قد تغير، كان يعرفها حجرا حجرا ومرفقا وراء مرفق، فلطالما شق تلك الطرق بسيارته الفورد الخضراء موديل 1941، إنه يعرفها جيدا، والآن يشعر بأنه لم يتغيب عنها عشرين سنة، وهو يقود سيارته كما كان يفعل، كما لو أنه لم يكن غائبا طوال تلك السنوات المريرة، وأخذت الأسماء تنهال في رأسه كما لو أنها تنفض عنها طبقة كثيفة من الغبار: وادي النسناس، شارع الملك فيصل، مساحة الحناطير الحليصة، الهادار "[1].

وكل هذا يثبت مدى محافظة الفلسطينيين وتمسكهم بهوية الأصلية برغم كل الظروف العصيبة وكل الأحداث التي تمر عليهم كل يوم ويعيشونها بسبب الاحتلال اليهودي وخير دليل على ذلك حرب 21 نيسان عام 1948 ذلك الأربعاء الأسود و ما حمله من مآسي وأحزان معه " حين بدأت أصوات الرصاص والمتفجرات تملأ سماء حيفا "[2].

لتنقلب " شوارع حيفا إلى فوضى، واكتسح الرعب المدينة التي أغلقت حوانيتها ونوافذ بيوتها "[3].

[1] المصدر نفسه ، ص9.

[2] المصدر نفسه ، ص11.

[3] المصدر نفسه ، ص11.

وأكثر من هذا ما صورته لنا هذه الرواية التي بين أيدينا بما حملته من مصطلحات تبعث الرعب والخوف والحزن والألم في نفوس القارئين تصف الهول الذي حل بحيفا وسكانها فجأة دون سابق إنذار ليقول الكاتب:

" كانت السماء نارا تتدفق بأصوات رصاص وقنابل وقصف بعيد وقريب "[1]، ومعاناة سعيد وضياعه بين أكوام البشر وازدحامهم، وهو يعتبر أنموذجا يمثل الكثير من الفلسطينيين وما يقاسونه من مرارة في ظل الاحتلال وعدوانه وطغيانه ، فالصهاينة الذين سرقوا منازلهم وحطموا آمالهم وضاعت أحلامهم ليشردوا أطفالهم ويحرقوا قلوبهم فمنهم من يستشهد في قلب المعركة وبعضهم ينجوا جسدا بلا روح ليعيش دائما على أمل استرجاع ما سلب منه بالقوة من أرض وثقافة وأطفال وغيرها الكثير.

فعائلة سعيد كانت مرآة الكاتب التي تعكس معاناة كل فلسطيني سواء في حيفا أو غيرها من المدن المحتلة.

فسعيد الذي ضاع على حد قول الكاتب مثل " حيوان طريد يشق طريقا مستحيلا في دغل كثيف متشابك، وفوقه كان الدخان والعويل ودوي القنابل وزخات الرصاص تمتزج أصواتها بالصراخ وهدير البحر وزحف الخطوات الضائعة وضرب المجاديف سطح الموج ... "[2].

[1] غسان كنفاني "عائد الى حيفا" ، ص14.

[2] المصدر نفسه ، ص 15 – 16.

ليجد نفسه ضائعا بين النجاة بحياته وبين زوجته صفية وابنه الرضيع صاحب 5 أشهر وكأنه شعر بالمصير الذي سيحل به وبصفية وابنه خلدون وكل هذا كان قبل 20 سنة من رحلة العودة إلى حيفا لقد عادت به الذاكرة وكأنه يعيش تلك اللحظات في تلك اللحظة وزوجته صفية لم تكن أقل شيئا منه ما مر عليها ذلك اليوم ليس بأمر الهين لا زال محفورا في قلبها لم تنساه يوما فلقد ضاع منها أعز ما تملك ابنها خلدون. كل هذا ظهر في رواية من خلال قول غسان الكنفاني وهو يروي حالة سعيد:

" هل حقا مضى على ذلك كله عشرون سنة؟

كان العرق يتصبب باردا على جبين سعيد وهو يقود سيارته صاعدا المنحدر، لقد حسب أن تلك الذاكرة لن تعود بهذا الصخب المجنون الذي لم يكن إلا لحظات حدوثها. ومن طرفي عينه نظر إلى زوجته: كان وجهها مشدودا أميل إلى الاصفرار، وكانت عيناها تتدفقان بالدموع، لا ريب أنها – قال لنفسه – تستعيد خطواتها ذلك اليوم ذاته " [1]،وأكملا الطريق إلى منزلهما والذكريات تتضارب في مخيلتهما ليطلا على مشارف بيتهما حين قال الكاتب:

[1] المصدر نفسه ، ص16.

" وفجأة أطل المنزل، المنزل ذاته، ذلك الذي عاش فيه، ثم عيشه في ذاكرته طويلا، وها هو الآن يطل بمقدمة شرفاته المطلية باللون الأصفر "[1].

ليعود الزمان ويرحل سعيد بخياله إلى أيام الشباب وظهر ذلك في قول الكاتب:

" ولوهلة خيل إليه أن صفية شابة وذات شعر مجدل وطويل ستطل عليه من هناك "[2].

ليستفيق على حبل الغسيل الذي يدل على أن أناس جدد يسكنون المنزل وهذا كله ظاهر مع بداية قوله " كان حبلا جديدا للغسيل قد دق على وتدين خارج الشرفة، وتدلت منه قطع بيضاء وحمراء لغسيل جديدة "[3].

ليعود الكاتب ليصف لنا كيف كان الوضع قبل عشرين سنة على ذلك اليوم حين كان سعيد يعيش هناك هو وأسرته وجيرانه وهذا من خلال سعيد حين نزوله من السيارة وقطعه الطريق متجها إلى المنزل وهو وزوجته ليصعدا الدرج ليقول الكاتب:

" والطابق الأول حيث كان يعيش محجوب السعدي، وحيث كان الباب يظل مواربا دائما، والأطفال يلعبون أمام الدار دائما يملؤون الدرج صراخا "[4] وكان قبل هذا قد ذكر بعض الأشياء التي لا زالت هناك تشد سعيد إليها وقد تضعفه ولعل أبرزها " الجرس، لاقطة الباب النحاسية، وخربشات أقلام الرصاص على الحائط، وصندوق الكهرباء، والدرجة

[1] المصدر نفسه ، ص26.

[2] المصدر نفسه ، ص

[3] المصدر نفسه ، ص26 – 27.

[4] المصدر نفسه ، ص28.

الرابعة المكسورة من وسطها، وحاجز السلم المقوس الناعم الذي تتزلق عليه الكف، وشبابيك المعاطب ذات الجديد "[1].

وفي ظل كل هذا وذلك يصل سعيد إلى باب المنزل ليتأكد أن المنزل صار ملكا لمن سلبوهم الحرية والسلام ليقول سعيد بصوت خافت لصفية:

" – غير الجرس.

- والاسم طبعا "[2].

ومع فتح الباب تبدأ رحلة الهجنة الحقيقية التي صورها لنا الكاتب بدقة عالية بعد تصويرها في شوارع حيفا.

ولكن داخل المنزل كانت أقرب لنظرية الهندي هومي بابا بحيث كان البيت عبارة عن فضاء ثالث يجمع ثقافتين مختلفتين في صورة هجينة: نتيجة ما تركه المستعمر وما وضعه المستعمر.

فرحلة في المنزل انطلقت معا قول سعيد:

" – هل نستطيع أن ندخل ؟[3]

[1] المصدر نفسه ، ص27 – 28.

[2] المصدر نفسه ، ص29.

[3] المصدر نفسه ، ص29.

لتستقبلهما العجوز السمينة بعض الشيء والقصيرة التي صار المنزل ملكا لها وهي أكيد تنتمي إلى العدو وتحمل الجنسية اليهودية ولا تتقن اللغة العربية فكانت لغة تواصلهما تعتمد على اللغة الانكليزية التي كانت عاملا مشتركا بينها وبين سعيد. وظهر كل هذا في الرواية من خلال ما يلي:

"... ، فأخذا سعيد يترجم إلى الانكليزية، ... ، ووسعت من الطريق حتى دخلا، ثم أخذت تسير أمامهما نحو غرفة الجلوس "[1].

ليدخلا سعيد وصيفه إلى المنزل الذي يحمل في تفاصيله ذكرياتهما معا، وحياة أجبروا على تركها غصبا عنهم، بدون أن ننسى السبب الأهم لعودتهما بعد عشرين سنة إلى حيفا وذلك المنزل ، وهو البحث عن ابنهما الرضيع خلدون الذي لم ينسوه يوما.

لتبدأ رحلة التأمل والتفتيش في زوايا المنزل يبحثان لعلهم يجدون أشياء تخصهما لا زالت على حالها وظهر هذا من خلال نظرات سعيد في الرواية " ... وأخذا يميزان الأشياء بشيء من الدهشة. لقد بدا له المدخل أصغر قليلا مما تصوره وأكثر رطوبة، واستطاع أن يرى أشياء كثيرة اعتبرها ذات يوم، وما يزال، أشياءه الحميمية الخاصة التي تصورها دائما ملكية غامضة ومقدسة لم يستطع أيا كان أن يتعرف عليها أو يلمسها أو أن يراها حقا "[2]. فوجد سعيد أن بعض الأشياء لم تتغير مثل " ثمة صورة للقدس يتذكرها جيدا ما

[1] المصدر نفسه ، ص 29.

[2] المصدر نفسه ، ص29.

تزال معلقة حيث كانت، حين كان يعيش هنا وعلى الجدار المقابل سجادة شامية صغيرة كانت دائما هناك أيضا "[1].

ليدخلا غرفة الجلوس التي كانت عبارة عن مزيج بين ما تركته صفية وما أضافته ميريام لتصبح بشكل مختلف وهجين.

ولعل بدايتها ظهرت مع المقاعد التي أصبحت اثنان من أصل خمسة، وثلاثة المتبقين من اختيار مريام. وظهر هذا في الرواية من خلال قول الكاتب: " وحين صارا في غرفة الجلوس، استطاع أن يرى مقعدين من أصل خمسة مقاعد هما من الطقم الذي كان له. أما المقاعد الثلاثة الأخرى فقد كانت جديدة، وبدت مناقضة وغير متسقة مع الأثاث "[2].

وهذا يدل على أن ذلك الاندماج الذي يحصل بين شيئين مختلفين ليس بالضرورة أنه يعطينا شيئا جديدا جميلا لربما يعطينا شيئا لا يسر الناظرين.

أما الطاولة فهي نفسها مع استبدال مزهريتها من زجاجية إلى مزهرة خشبية قوله " وفي الوسط كانت الطاولة المرصعة بالصدف هي نفسها، وإن كان لونها قد صار باهتا، وفوقها استبدلت المزهرية الزجاجية بأخرى مصنوعة بالخشب، وفيها تكومت من أعواد ريش الطاووس "[3].

[1] المصدر نفسه ، ص 29.

[2] المصدر نفسه ، ص 29 – 30.

[3] المصدر نفسه ، ص30.

أما الستائر فلقد استبدلت القديمة بستائر أخرى جديدة ليقول "... رأى أن الستائر قد تغيرت وأن تلك التي اشتغلتها صفية، قبل عشرين سنة، بالصنارة، من الخيوط السكرية اللون، فقد اختفت من هناك، واستبدلت بستائر ذات خطوط زرقاء متطاولة "[1].

وبهذا نرى ذلك الاختلاط الذي يحمله المنزل بداخله فهو لم يعد تماما كما كان عليه قبل عشرين سنة ولكنه في نفس الوقت لم يتغير جذريا عن حاله السابق بل كان يحمل بداخله انصهارا لثقافتين مختلفتين تم تصويرهما من خلال الأثاث والصور الموجودة بالمنزل.

1/انشطار الهوية في ثنيات الرواية:

الهوية وكما لا يخفى عنا هي مصطلح يحوي العديد من التقلبات والتغيرات التي تطرأ عليه جراء العوامل المحيطة به إذ " الهوية كيان يصير ويتطور "[2] ويتفاعل مع المؤثرات الخارجية منها الاجتماعية السياسية وحتى الثقافية والتاريخية ... الخ.

" فالهوية إذن تتحقق في مجال الاتصال بالآخرين، حتى يصح القول إن هوية الفرد الواحد تتبدل حسب اتصالاته ومواقفه ومواقعه المختلفة، فالهوية معطى من الآخرين وانعكاس ظاهر وكامن لمواقفنا منهم وردود فعلنا عليهم "[3].

وهذا ما يثبت أن الهوية تخضع للمؤثرات الخارجية التي تتحكم فيها علاقات الفرد مع غيره من أفراد المجتمع على حسب توجهاته ومواقفه المختلفة .

---

[1] المصدر نفسه ، ص30.

[2] عبد الفتاح القلقيلي وأحمد أبو غوش، الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والاطار الناظم إصدار: بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين مركز بديل 2012، ص32.

[3] المصدر نفسه ، ص11.

ولعل أبرز ما يؤثر على الهوية هو ذلك التشتت والانقسام الذي يحدث جراء الحروب والصراعات والثورات التي تقوم بسبب الاستعمار وأهدافه المختلفة وأهمها طمس الهوية التي تعتبر أساس بناء المجتمعات ووحدتها، فالهوية رمز لتماسك كل أمة ببعضها البعض وعدم تفرقها.فلذلك نرى أن معظم ما يهدف إليه الاستعمار هو بناء هوية جديدة تتنافى مع قيم الهوية الأصلية، وهذا ما حاول غسان كنفاني توضيحه في أسطر روايته الموضوعة بين أيدينا متحديا كل الظروف، بحيث أنه " على الروائي أن يتحدى كل الطابوهات والايديولوجيات وأن يغوص في معاناة الفرد داخل مجتمعه ويعبر عن مشاكله وقضاياه كونه جزءا لا يتجزأ من ذلك المجتمع "[1].

وانشطار الهوية الذي يتعرض له المجتمع الفلسطيني جراء الاستعمار الصهيوني كان من أهم القضايا التي يعاني منها الشعب الفلسطيني.

وسنحاول تتبع هذا التشظي الذي صوره الروائي في روايتنا من خلال دوف.

[1] صباح شنيب: الرواية الجزائرية أسئلة البحث في التشكل والهوية، مجلة: الحزائر الجديدة، د.ع. ت 29 – 05 – 2012، ص1.

2/تشظي الهوية وانشطارها:

فالرواية حاولت تصوير ذلك الانقسام الذي يمس الهوية والتشظي والانفصال الذي يحدث لها بسبب الاستعمار وما يخلفه من آثار جانبية وسلبية تؤثر على المستعمر وحياته اليومية التي تحمل تفاصيل هويته الأصيلة.

ولعل أبرز مثال في الرواية عن هذه الحالة من التشتت والضياع والتشظي هو ذلك الطفل الذي نسيته والدته صفية في السرير خارجة للبحث عن والده في ذلك اليوم المشؤوم من نيسان 1948 وظهر هذا من خلال الرواية " وحين طال غيابه هرعت إلى الطريق ... وقادتها خطوتها من سيارة إلى أخرى وحتى رجل إلى آخر، تسأل دون أن تحصل جواب ... .كم مضى من الوقت قبل أن تتذكر أن خلدون الطفل ما زال في سريره في الحليصة؟[1]

ومن تلك اللحظة تبدأ مأساة صفية وسعيد بحيث أن الطفل الذي يحمل هوية فلسطينية أصيلة ودم فلسطيني حر ولد في كنف عائلة تحمل الهوية الفلسطينية وكل ما تحمله من عادات وتقاليد ولغة وثقافة عربية حرة طفل ولد في فلسطين بالأساس بين عائلة فلسطينية محظة يحمل اسما عربيا بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

فاسمه كما تبين في الرواية " خلدون ليصبح " دوف " وهنا الصدمة ليست على الوالدين فقط بل حتى للقارئ وظهر هذا من خلال أسطر الرواية.

[1] غسان الكنفاني عائد إلى حيفا، ص18.

" . كان هناك سبع ريشات، ماذا حدث للريشتين المفقودتين؟

ونظرت العجوز حيث أشار، وعادت إليه متسائلة، وكان ما يزال يمد ذراعه باتجاه المزهرية ويحدق فيها مطالبا بالجواب، وكان الكون كله يقف على رأس لسانها... .

ـ لست أدري أين ذهبت الريشتان اللتان تتحدث عنهما ذلك شيء لا أستطيع أن أتذكره، ربما دوف لعب بهما وضيعهما بعد ذلك حين كان صغيرا "[1].

وهنا كانت المفاجأة والخبر الذي نزل كالصاعقة

" . دوف ؟

قالاها معا، سعيد وصفية ووقفا وكأن الأرض قذفتهما إلى فوق متوترين ينظران نحوها.

فمضت تقول:

. أجل دوف، وليست أدري ماذا كان اسمه، وإن كان يهمك الأمر، فهو يشبهك كثيرا..."[2].

وهنا كانت البداية لانقسام الهوية وانشطارها بحيث أن الطفل العربي أصبح هجينا يحمل اسما أجنبيا، والتغيير لم يقتصر على الاسم فقط بل حمل في ثنياته عدة تغيرات مختلفة تبعث الحزن والأسى. لما يحدث لأطفال فلسطين، المغلوب على أمرهم، وليس بيدهم

[1] المصدر نفسه ، ص34.

[2] المصدر نفسه، ص 34 – 35.

حيلـة، فـذنبهم الوحيـد أنهـم أطفـال ليسـوا بقـادرين علـى الهـروب مـن مصـيرهم المحتـوم والمجهول.

فدوف الذي كان أقسى مثال على ما يحدث من استغلال للأطفال، الذين ضاعوا بسبب الحروب لتتغير هويتهم وتعاد بناء هوية جديدة لهم تتماشى مع ما يرغب به المستعمر الصهيوني.

وكما قلنا التغيير لم يقتصر على الاسم فقط بل طال الهوية وأدى انشطارها من عدة جوانب ولعل أبرزها ما مثلته لنا هذه الرواية فيما يلي:

أ/ اللغة: وهي عبرية محظة ظهرت من خلال الحوار الذي دار بين دوف ووالدته خلال وصوله المنزل.

" ها هو دوف لقد جاء...

ثم جاء صوت متردد، نصف عال، ينادي"

. ماما

وارتجفت مريام قليلا، وأخذت تفرك راحتيها، فيما استمع سعيد، إلى زوجته صفية تشرق بدمعها بصوت لا يكاد يسمع، وفي الخارج توقفت الخطوات قليلا وكأنها تنظر شيئا، ثم جاء الصوت نفسه مرة أخرى، وحين صمت أخذت ميريام تترجم بصوت مرتجف هامس.

. إنه يسأل لماذا أنا في الصالون حتى هذه الساعة المتأخرة؟[1]

وهذا يدل على أن خلدون أو بالأحرى دوف يتقن اللغة العبرية[2] و درس العبرية وهي لغة اسرائيلية على عكس والديه الحقيقيين اللذين لا يتقنان هذه اللغة، والتي تعتبر لغة المستعمر ول يشرفهما تعلمها.

وهو يتقن لغة أخرى لكن ليست العربية بل الانكليزية هي لغته الثانية وهذا ظهر من خلال قول والدته ميريام في رواية:

" وقالت مريام بالانكليزية:

. تعال هنا يا دوف، يوجد ضيوف يرغبون برؤيتك "[3].

وهذا دليل على أنه يتقن هذه اللغة.

وبهذا دوف يتقن العبرية والانكليزية جيدا في حين لا يعلم أي شيء عن اللغة العربية برغم من علم والديه مريام وكريستوف بأنه من أصل عربي، بل بالعكس لعل هذا الأمر هو الذي زاد من اصرارهم على محو كل شيء يتعلق بهويته الأصلية.

وبهذا ينسلخ من هويته الحقيقية ليحمل هوية أخرى تتنافى مع كل مبادئ الفلسطينيين وقيمهم.

---

[1] غسان الكنفاني (عائد إلى حيفا)، ص61 – 62.

[2] المصدر نفسه ، ص67.

[3] المصدر نفسه، ص 62.

فاللغة تعتبر من مقومات الهوية وبإسقاطها تتشطر الهوية وتفقد رمزا من رموزها.

لتليهما بعد ذلك سقوط المقومات الأخرى من دين، ثقافة ... لتتلاشى الهوية وتفقد جوهرها وتتدثر وتنطمس ولا يصبح لها أثر.

ب/ الدين: فهو بطبيعة الحال بما أنه نشأ نشأة اسرائيلية فديانته ستكون اليهودية كما كانت لغته العبرية وسيحمل أخلاقا بتعاليم يهودية يؤدي واجباته اتجاه تلك الديانة بكل رغبة وحب من خلال الذهاب إلى الكنيسة والقيام بطقوس وشعائر تنصها اليهودية ولعل هذا كله ظهر من خلال قول دوف في الرواية "ـ منذ صغري وأنا يهودي، أذهب إلى الكنيسة وإلى المدرسة اليهودية وآكل الكوشير وأدرس العبرية " [1] وكأنه راض ومفتخر بهذه الديانة وحتى اللغة حتى برغم من علمه بأنه عربي وهذا أقسى أنواع تشظي الهوية وانحلالها.

ليقول دوف:

" حين قال لي أنني لست من صلبهما، لم يتغير أي شيء، وكذلك حين قال لي – بعد ذلك – إن والدي الأصليين هما عربيان، لم يتغير أي شيء "[2].

ج/ الروح الوطنية: فالكاتب بعد صعقنا بالمفاجأة الأولى وهي تغيير اسم خلدون من خلدون إلى دوف وترعرعه في كنف عائلة يهودية، يعود ليتلقى مفاجأة أخرى لكن هذه

[1] المصدر نفسه ، ص 67.

[2] المصدر نفسه ، ص67 .

المرة الصدمة كانت أشد قسوة بكثير عما سبق فهي دخوله صفوف الجيش الاسرائيلي وظهر هذا حين دخوله لغرفة الجلوس " وانفتح الباب بشيء من البطء، ولأول وهلة لم يصدق، فقد كان الضوء عند الباب باهتا، ولكن الرجل الطويل القامة خطا إلى الأمام، كان يلبس بزة عسكرية، ويحمل قبعته بيده "[1].

وهل هناك أقسى من هذا ابنك من صلبك دمك ولحمك يقف ضدك في صف عدوك، لتمثل لنا الرواية ردة فعل سعيد التي تدل على انصدامه وتفاجئه، " وقفز سعيد واقفا وكأن تيارا كهربائيا قذفه عن المقعد، ونظر نحو مريام وهو يقول بصوت متوتر:

ـ هذه هي المفاجأة؟ أهذه هي المفاجأة التي أردت منا انتظارها؟ واستدارت صفية نحو النافذة، تخفي وجهها براحتيها وتنشج بصوت مسموع "[2].

لعل صفية تبكي لما حل بولدها وما صار عليه بعد عشرين سنة.

وسعيد برغم تفاجئه بلباس الجيش الذي كان يرمى مباشرة إلا انضمام ولده وانخراطه في صفوف العدو إلا أنه أراد أن يتأكد أكثر مما يحدث أمامه وذلك من خلال الأسئلة التي طرحها على ولده خلدون:

" . أنت في الجيش؟ من تحارب؟ لماذا ؟

---

[1] المصدر نفسه، ص62.

[2] المصدر نفسه ، ص62 – 63.

وانتفض الشاب واقفا فجأة:

. ليس من حقك أن تسأل هذه الأسئلة . أنت على الجانب الآخر "[1].

فهنا أيقن سعيد تماما بأنه لا أمل من خلدون و اليوم فقده حقا، فما كان عليه إلى الضحك ليخفي الانكسار والحسرة التي تستوطنه ليقول:

" أنا؟ أنا على الجانب الآخر.

وضحك بقوة، وشعر بأنه عبر تلك القهقهة العالية كان يدفع بكل ما في صدره من أسى وتوتر وخوف وفجيعة إلى الخارج، ورغب فجأة أن يظل يقهقه ويقهقه حتى ينقلب العالم كله، أو ينام، أو يموت، أو يندفع خارجا إلى سيارته "[2].

فكل كلمة كان يقولها دوف كانت كالسم على قلبه تقتله ببطء كم كانت عباراته جارحة فحين قال:

" إنني في قوات الاحتياط الآن، لم يقدر لي خوض معركة مباشرة إلى الآن أصف لك شعوري، ولكن ربما في المستقبل أستطيع أن أؤكد لك مجددا ما سأقوله الآن: إنني أنتمي إلى هنا، وهذه السيدة هي أمي، وأنتما لا أعرفكما ولا أشعر إزاءكما بأي شعور خاص "[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص65.

[2] المصدر نفسه، ص65.

[3] المصدر نفسه ، ص68.

فروحه الوطنية كانت إسرائيلية يفتخر بالمحاربة في صفوف الصهاينة وخوض معركة ضد الفسطينيين برغم من علمه بأنه من أصل عربي ابن عائلة فلسطينية.

فما كان على سعيد إلا أن يكذب ويقول " ... ، فقد تكون معركتك الأولى مع فدائي اسمه خالد، وخالد هو ابني، أرجو أن تلاحظ أنني لم أقل إنه أخوك، فالإنسان كما قلت قضية، وفي الأسبوع الماضي التحق خالد بالفدائيين "[1] . وكل هذا ليتصدي لذلك التبرؤ والرفض الذي تلقاه من قبل ابنه خلدون الذي بحث عنه طوال 20 سنة ظنا منه أنه سيأتي يوم ويعثروا عليه وظهر هذا حين قال لدوف:

" أتعرف لماذا أسميناه خالد ولم نسمه خلدون؟ لأننا كنا نتوقع العثور عليك، ولو بعد عشرين سنة، ولكن لم يحدث. لم نعثر عليك... ولا أعتقد أننا سنعثر عليك "[2].

فسعيد كان يوقن أنه يكذب " ... فقد كان يعرف أنه يكذب، وخالد لم يلتحق بالفدائيين ..."[3] وهذا كله ليلملم بعض القوة يدافع بها عن نفسه إذ " الآن لا يجد شيئا يدافع به عن نفسه أمام تبرؤ هذا الشاب الطويل القامة من بنوته له إلا افتخاره بأبوته لخالد ... ".[4]

[1] المصدر نفسه ، ص69.

[2] المصدر نفسه ، ص69.

[3] المصدر نفسه، ص69.

[4] المصدر نفسه ، ص69.

وبهذه الصور فقد سعيد وصفية ذلك الطفل الرضيع الذي أسمياه خلدون ومات في عيونهم ليس يوم الحرب بل بعد عشرين سنة من رحلة بحث شاقة حملت كل أنواع الألم معها، اليوم لم يبقى من خلدون أي شيء سوى تلك الذكرى السيئة.

وهو يعلم أن الذنب ذنب الوالدين والتنشئة التي غرست فيه قيم جافية ومنحت معلومات خاطئة، وصوت له الفلسطينيين بأسوء صورة وأوهمته أن فلسطين بلد اليهود وهم الأحق بالعيش فيه.

وسعيد ألقى اللوم على مريام حين قال لها:

"... أنت يا سيدتي لم تقولي له الحقيقة، وحين رويتها له كان الوقت قد مضى، أنحن الذي تركناه؟ الطفل الذي كانت جثته، كما قلت لنا، أول شيء صدمك في هذا العالم الذي يسحق العدل بحقارة كل يوم ... ربما كان ذلك الطفل هو خلدون ربما كان ذلك الشيء الصغير الذي مات ذلك اليوم التعيس هو خلدون ... بل إنه خلدون، وأنت كذبت علينا إنه خلدون ... "[1].

لقد جعل الروائي " دوف" مادته الدسمة لمفاجأة القارئ ولعل الصواب مفاجعته، بذلك التغيير الرهيب الذي تتعرض له الهوية في ظل الاستعمار وعدوانه. ولا يوجد أبشع من هذا التصوير.

[1] المصدر نفسه ، ص70.

فالروائي حاول إيصال هذا التشظي والانشطار من خلال أدبه بما أن الأدب هو تعبير عن المجتمع كما يقول الروائي والناقد " محمد ساري " في حديثه عن صورة الأدب " هو مرآة عاكسة للمجتمع المعبر عنه "[1].

فغسان كنفاني عكس في روايته الواقع المرير الذي تمر به فلسطين في ظل الاستيطان و الاستعمار الصهيوني .

[1] صباح شنيب: الرواية الجزائية الفلسطينية أسئلة البحث عن تشكل والهوية ، ص01.

الخاتمـــة

الخاتمة

في بحثنا هذا نخرج بجملة من استنتاجات في ثناياه من خلال دراسة الهوية ومدى أهميتها في حياة الفرد والمجتمعات، والتغيرات التي تطرأ عليها في ظل الظروف المحيطة بها لننتقل إلى الهجنة التي لعل سببها ظهورها الأول هو الاستعمار، وهذا ما أوضحته الرواية التي وضعها بين أيدينا غسان كنفاني بعنوان " عائد إلى حيفا" ، بحيث كانت أنموذجا صائبا يعبر عن الهوية والهجنة، وذلك من خلال الشخصيات التي كانت تؤطر الأحداث ولعل أبرزها " عائلة سعيد" التي تعطينا إشارة الانطلاق للكشف عن ملامح الهوية والهجنة في ثنايا الرواية .وبهذا أفصحت دراستنا على مجموعة من النتائج :

تعد نظرية ما بعد الكولونيالية، ثورة فكرية أدبية، ضد كل أنواع الظلم والقهر والتسلط الإنساني .

– نظرية ما بعد الكولونيالية من النظريات التي رافعت مرحلة ما بعد الحداثة، وتعتبر أعمال " إدوارد سعيد" البدايات الأولى لتأسيس هذه النظرية.

– تسليط الضوء على العلاقة بين الغرب والشرق محاولا كشف طبيعة هذه العلاقة بين الغرب القائمة على أساس سيطرة وهيمنة الغرب على الشرق

– توصلنا في دراستنا أن الهوية تمثل الخصوصية التي تميز أمة عن أمة من خلال التميز الذاتي و الانتماء الذاتي.

– أبـرزت الدراسـة أن المعـايير التـي يـتم مـن خلالهـا تحديـد هويـة معينـة ،يكـون إنطلاقا من المقومات و السمات المميزة من أهمها :الدين، اللغة ،العادات، التقاليد، التـي تمتاز بها عن الأخر.

– "إدوارد سعيد" من خـلال المفارقـات التـي قدمها ورأيناها فـي بحثنـا كـان رافضـا لفكرة التصـالح والتعـايش مـع الاستعمار، فهو دعـا دائمـا إلـى الثورة و الـدفاع عن الـوطن والمقاومة لاسترجاع ما سلب بالقوة ، والفصل بين المستعمر والمستعمر .

– لاحظنـا أن "إدوارد سـعيد" والهندي "هومي بابـا" لـم يتلقيـا فـي نقطـة تحديد مفهوم الهجنة، بحيث أن "هومي بابـا" انتقد المفارقـات التـي قدمها إدوارد سـعيد واعتبرها تقلل من قيمة الشعوب المستعمرة وتشعرها بالدونية والضعف وتبقيها تحت قبضة المستعمر.

– انصـهار ثقافـة المستعمر والمستعمر فـي بوتقـة واحدة وخروجهمـا بثقافـة جديـدة، لاحظناه من خلال مفهوم الهجنة الذي قدمه "هومى بابا."

– دعوة "هومى بابا" إلى التفاوض والتفاهم للخروج بهدنـة ترضـي الطرفين وهذا ما ظهر في طرحه لمفهوم الفضاء الثالث .

– ذكـاء غسـان الكنفـاني فـي تصـوير الأحـداث بدقـة عاليـة تجعلنـا نتخيـل الوضـع الراهن في فلسطين.

– جهود الروائي غسان الكنفاني في تسليط الضوء عن الهوية الفلسطينية مقابل الهوية الاسرائيلية ،و هذا لإثبات الذات الفلسطينية و ابراز انتمائه الوطني.

وفي نهاية الدراسة نشير إلى أننا حاولنا الإحاطة ببعض الجوانب فيما يخص الهوية والهجنة، غير أن هناك جوانب أخرى مازالت تنتظر الباحث لمعالجتها لتكون بداية لعمل آخر موسع يدرس الموضوع.

وفي الأخير لا يسعنا إلا القول لا يمكن أن يخلو أي بحث من هفوات أو أخطاء فإذا كنا قد وفقنا ولو بالقليل فذلك بفضل الله عز وجل، وإن أخفقنا فذلك من طبيعة البشر .

فنسأل الله النجاح والتوفيق بإذنه تعالى.

ملحـــق

ملحق



3

يُعتبر غسان كنفاني أحد أشهر الكتّاب والصحافيين العرب في عصرنا. فقد كانت أعماله الأدبية من روايات وقصص قصيرة متجذرة في عمق الثقافة العربية والفلسطينية، ومصدر وحيٍ لجيلٍ كامل في حياته وبعد استشهاده بالكلمة والفعل.

ولد في عكا، شمال فلسطين، في التاسع من نيسان/أبريل ١٩٣٦، وعاش في يافا حتى أيار/مايو ١٩٤٨ حين أجبر، بسبب الحرب التي أسفرت عن إنشاء إسرائيل، على مغادرة وطنه الأم واللجوء مع عائلته في بادئ الأمر إلى لبنان، ثم إلى سوريا. عاش وعمل في دمشق ثم في الكويت، وبعد ذلك في بيروت منذ سنة ١٩٦٠. وفي الثامن من تموز/يوليو ١٩٧٢ استشهد في بيروت مع ابنة أخته

Twitter: @ketab_n

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية حفص

المصادر

– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1863، مادة (هـ.و.ى)

– غسان الكنفاني، عائد إلى حيفا، دار المنشورات ، الرمال، قبرص، ط1/ 2013، ط2015.

المعاجم

– معجم الوسيط، مؤلف مجتمع اللغة العربية، قسم المعاجم والقواميس، د.ن، مكتبة الشروق الدولية.

– خليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، الجزء04، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1/ 2009.

قائمة المراجع المترجمة :

- ادوارد سعيد،الاستشراق ، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة، محمد عناني ، رؤية لنشر و توزيع القاهرة، مصر، للطباعة ، الطبعة الأولى، 2005.

- ادوارد سعيد، الثقافة و الامبريالية، ترجمة ، كمال أبو ديب ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى،1987،إضافة إلى الطبعة الثالثة .2004.

- صن امارتيا ، الهوية و الحذف (وحم المصير الحتمي) ترجمة سعد توفيق ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهوية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب ، الكويت ، صدرت السلسلة في يناير 1978 .بإشراف أحمد مشاري المدواني ، 1923-1990.

- العنوان الأصلي للكتاب . Amartya sem idemtity and violence=theIIlasion of dosting fcomang .new york www.nortion .2006

- بيل اشكروفت واخرون ، دراسات ما بعد الكولونيالية .المفاهيم الأساسية ترجمة احمد الروبي ، احمد حلمي .عاطف عثمان ، المركز القومي لترجمة الجيزا مصر ، الطبعة الاولى 2010.

- انيا لومبا ، في نظرية الاستعمار ما بع الاستعمار الأدبية ترجمة محمد عبد الغني عنوم ، دار الحوار ، سوريا الطبعة الأولى 2007.

- البيرن كاترين واخرون ، الهوية والهويات ، الفرد ، الزمرة ، المجتمع ، ترجمة الياس حسن ، منشورات الهيئة العامة لثورية الكتاب ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى 2010.

- انيا لومبا الكولونيالية وما بعدها ، ترجمة باسل ، المسالة ، دار التكوين ،دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى 2013.

- جلبير غرانتغيوم ، اللغة ، السلطة ، المجتمع ، في المغرب العربي ، ترجمة محمد اسليم ، إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب ، الطبعة الأولى 2011م

- ك ، نلولوف وآخرون ، موسوعة لمبدريج في النقد الأدبي ، القرن العشرين ، المداخيل التاريخية والفلسفية والنفسية ترجمة، إسماعيل عبد الغني وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ،ج 9 ، الطبعة الأولى 2015.

- شيليواليا ، ادوارد سعيد وكتابة التاريخ ،ترجمة احمد خريس وناصر ابو الهيجاء ، أزمنة الأردن عمان ، الطبعة الأولى 2007.

- ادوارد سعيد ، مفارقة الهوية ، ترجمة سهول نجم ، مراجعة دجيدر سعيد دار الكتاب العربي ، دمشق ، الطبعة الأولى 2002 .

- مجد الدين ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ،ترجمة محمد نعيم العرق السوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة 8، 2005.

- ادوارد سعيد، خارج المكان ، ترجمة فواز الطرابلسي ، دار الآداب بيروت ، الطبعة الأولى 2000.

المراجع :

- طلعة عبد العزم ، أدب ما بعد الاستعمار ونظرية النقدية ، كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، الطبعة الأولى 2017.

- نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، شركة المصرية العالمية ، لونجان ، الطبعة الأولى ، 2003.

- ماجدة الجندي ، من عمق القلب وخارج المكان ، ادوارد سعيد عربي بالاختيار الأهرام الطبعة الأولى 2000.

- نادية مصطفى ، أسامة مجاهد ، ماجدة إبراهيم ، دوائر الانتماء وتأصيل الهوية ، دار النشر للثقافة والعلوم ، قاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 2013.

- جمال الدين ، محمد بن مكرم ، ابن منظور ،لسان العرب ، دار صادر بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1863.

- حسن حنفي ، الهوية ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى ، 2012.

- محمد عمار ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ،نهظة مصر للطباعة والنشر الفجالة ، القاهرة ، الطبعة الأولى فبراير 1999.

- عزيزة الطائي ، ثقافة الطفل بين الهوية والعولمة ، مؤسسة الدوسري ، البحرين ، الطبعة الأولى ،2011.

- حسين مؤنس ، الحضارة ،دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الطبعة الأولى ، 1978.

- ملك بن النبي ، مشكلة الثقافة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1984.

- محمد شمدين، الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية ، تأليف عبد الحكيم احمين ،دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، طبعة الأولى 2017.

- غسان الكنفاني ، عائد إلى حيفا ، منشورات الرمال قبرص ، مطبعة كركي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1969.

- ماجدة حمود ، إشكالية الأنا والأخر ، (نماذج روائية عربية)، عالم المعروفة دولة الكويت ، الطبعة الأولى ، 2013 .

- محمد خليفة ، حسن احمد ، علاقة الإسلام باليهودية ، (رؤية إسلامية في مصادر التورات الحالية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1988.

- نورة فرج ، ارتباكات الهوية ، أسئلة الهوية والاستشراق في الرواية العربية ، الفرنكفونية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2007.

- أمين يوسف، عودة تأويل الشعر و فلسفته عند الصوفيين، جامعة أهل البيت ، الاردن ، عالم الكتب الحديث جدار الكتاب العالمي لنشر و توزيع إربد شارع الجامعة بجانب البنك الإسلامي.

- أبو قاسم عبد الرحمان بن عبدالله الحكم ، كتب مصر و أخبارها ، قسم كتب التاريخ و الأثار و الجغرافيا.

- عبد الله الركيبي ، الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ،(دراسات ادبية و مقالات) ، دار الكتب لطباعة و نشر و توزيع ، القبة ، الجزائر،2009.

المجلات :

- مديحة عتيق ، ما بعد الكولونيالية ، مفهومها ،إعلامها ، أطروحاتها ، دراسات وأبحاث المجلة العربية للعلوم الاسلامية والاجتماعية ، جامعة جلفة ، العدد 20.

- حسين حيمر ، الهوية والمقاومة عند ادوارد سعيد ، مجلة مداد الآداب ، أبو بكر بالقايد ، تلمسان / الجزائر .

–جابر عصفور ، تجارب في الإبداع العربي ، وزارة الإعلام ، مجلة العربي ، الكويت ، الطبعة الأولى 2009 .

- اناجم مولاي ، أزمة الهوية في ظل تحدي الاغتراب ، مأزق وعي و محنة شخصية، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، عدد خاص ، الهوية و المجلات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري ، جامعة عمار ثلجي الاغواط .

- بسمة حديلي ، دراسات ما بعد الكولونيالية من منظور أبرز أقطابها ، مجلة إشكالات في اللغة و الادب ، جامعة العربي تبسي ، تبسة، العدد التاسع ، ماي 2016.

- خالد العارف ، الفضاء الثالث في روايات واسيني الاعرج ، شطب الحلول واعادة الكتابة، مناقشات و مراجعات مجلة تبين Tabayyan، العدد4/14 ، خريف 2015.

- صباح شنيب، الرواية الجزائرية ، أسئلة البحث عن التشكل و الهوية مجلة الجزائر الجديدة د.ع.ت29-05-2012.

- مجلة التراث ، جامعة الجلفة، العدد10، شهر ديسمبر

- رسائل و مذكرات

- رزان محمود ابراهيم ، المؤثر الإستعماري في الكتابة الادبية ، ايقاعات متعاكسة تفكيكية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة البيترا.

الفهـــرس

الفهرس

شكر

إهداء

مقدمة .....أ

مدخل: النظرية ما بعد الكولونيالية:.....5

الفصل الأول: إشكالية الوعي بقضية الهوية في النقد العربي 8

المبحث الأول: ادوارد سعيد ودوره في انبثاق وبلورة مفهوم الهوية في الثقافة العربية 9

المطب الأول: "مفارقة الهوية عند ادوارد سعيد" 9

المطلب الثاني: ماهية الهوية وأنواعها 14

1/ الهوية لغة: 14

2/ الهوية اصطلاحا:..... 15

الهوية الثقافية: 18

الهوية الوطنية:..... 21

المبحث الثاني: جدلية الهوية والهجنة في الأدب ما بعد الاستعماري: 25

المطلب الأول : بين الهوية والاغتراب..... 26

1/الاغتراب: 28

2/ الاغتراب في العصر الحديث و المعاصر:..... 30

1/الهوية و الاغتراب الديني:..... 34

2/الهوية و الاغتراب السياسي: 35

المطلب الثاني : الهجنة ومسألة العيش في الفضاء الثالث..... 36

أولا: مفهوم الهجنة(Hybridity):..... 36

لغة:..... 36

اصطلاحا: 37

ثانيا: الهجنة ودراسات ما بعد الكولونيالية:..... 38

الهجنة الثقافية: 40

الفضاء الثالث: 42

الفصل الثاني: الهوية والهجنة في رواية عائد إلى حيفا 47

المبحث الأول: مدخل إلى الأدب الفلسطيني ما بعد الاستعمار 47

المطلب الأول: الاستعمار وأثره على الهوية العربية الفلسطينية: 47

المطلب الثاني: أهم الروايات العربية ما بعد الكولونيالية..... 56

المبحث الثاني: تجليات الهجنة في رواية " عائد إلى حيفا 61

تجليات الهجنة في رواية " عائد إلى حيفا " لغسان كنفافي:..... 62

1/انشطار الهوية في ثنيات الرواية:..... 72

2/تشظي الهوية وانشطارها:..... 74

الخاتمة..... 85

ملحق 89

قائمة المصادر والمراجع 91

الفهرس..... 99